الجمال المدفون

أيمن العايدي

الكتاب: الجمال المدفون
المؤلف: أيمن العايدي
تصميم الغلاف: محمد مجدي
تدقيق لغوي : إسلام علي
رقم الايداع: ٢٠١٥/١٨١٥
الترقيم الدولي: ٤-٠٧-٦٤٩٥-٩٧٧-٩٧٨

****

دار الميدان للنشر و التوزيع – جمهورية مصر العربية
هاتف: ٠٥٥٢٣١١٤٠٨ / ٠١٢١١١١٢٠٥٧
Website: www.daralmidan.com
E-mail: almidan@daralmidan.com

الجمال المدفون

(رواية)

أيمن العايدي

تنويه:

إذا حدث تشابه بين ما تقرأه في الرواية وبين ما تراه في الواقع فهو أمر متوقع، ولكن هذا التشابه (إن وجد) فهو غير مقصود ولستُ مسئولًا عنه بتاتًا.

شكر خاص..

لصديقي (......) على مجازفته بمصارحتي شخصياً بحقائق عن رحلته الروحانية.

♥ إهداء ♥

إلى..

من شجعني وساندني وانتقدني.

من اتهم خيالي بالمرض.

من ارتعدت خوفًا لمجاملتي (زوجتي).

الكاتب المبدع والشاعر/ أ. محمد زيدان دياب.

الكاتبة والشاعرة/ ميسون سرور.

أخي وصديقي: نقيب/ مؤمن نجا.

وأخيرا أختي العزيزة الصغيرة: إسراء.

كفاية كده!!

◂ ◂ الشــلّة ◂ ◂

<u>خمسة أشخاص</u> ينافسون بعضهم في الجمال، يتوسط الجلسة أجملهم بادئًا حديثه:

"عمركم سألتم نفسكم -تحديدًا لما بتقفوا قدام المراية- "هو أنا حلو ولا وحش؟"؟ المشكلة هنا إنكم حددتوا المعيار الخلقي مش الأخلاقي!"

أمسك (توفيق) بكوب من الماء، وارتشف في صمت رشفةً، يبدو للجالسين حوله من أصدقاء كمن يصور مشهدًا سينمائيًا، وهذا هو البطل؛ بعينيه الخضراوتين، وجماله الفتان.

والساخر هنا أنه يعطي أصدقاءه محاضرة في معيار الجمال. مسح فمه بالمنديل بعد رشفة الماء، ثم انتظر ردًا من أصدقائه لكن لا حياة لمن تنادي. فاستطرد مكملًا:

"طيب بما إن مفيش حد هيرد، هكمل. معظم الناس بتحكم على الجمال من الشكل ونسيوا إن معيار الجمال في الأخلاق، وإن معيار الشكل شهوة للغير وفتنة للنفس، بس فيه ناس ميهمهاش لا ده ولا ده؛ عايشة وخلاص. المخ مش بيفكر له أولويات تانية، ومن هنا نرى أن القبح بيبقى من سواد القلب! أنا أعرف ناس جميلة جدًا بس صفاتها زي الزفت ولامؤاخذة"

هنا تبسمت (هناء)، وقد استفاقت من غيبوبة الهيام التي أصابتها قائلة: "هو فيه أجمل منك يا (تيفا)!؟"

احمرت وجنتا (توفيق) خجلًا، فأصبح مثل الطماطم الحمراء، فازداد جمالًا.
أكملت (هناء) بخفة: "يالهووووي!!"
هنا كسرت الكلمة حدة الجو الجدي الذي بدأ به (توفيق) حديثه، وانفجروا ضاحكين بصوت عالٍ جدًا.
التفتت العيون حولهم اشمئزازًا، ولَكن يبدوا أن جمال (توفيق) لفت النظر؛ ليشفع للضاحكين، ويعطي عذرًا ليستمر ضحكهم، ولكنهم أصبحوا كأن على رؤوسهم الطير.
أتى (توفيق) صوت يقترب:
- "(توفيق) باشا.. لو سمحت!"
(توفيق): "أيوة يا (نادر).. فهمت.. معلش هربِتْ مننا بس"
(نادر): "لا يا باشا والله.. اضحكوا زي ما انتوا عاوزين. إحنا يهمنا إن القعدة تبقى ممتعة، ويا رب تنبسطوا. أنا بس بقولك إننا هنغيّر شيفت فلازم نقفِّل الحساب عشان الشيفت اللي بعدينا يستلم على نضافة.... لامؤاخذة"
هنا تدخل (علاء): "ربنا يخليك يا (ندَّورة).. وتحت أمرك. الحساب عليا يا جماعة. معلش أنا و(توفيق) اتراهنّا على دور شطرنج، بس أنا شلت الليلة هههههههه.. هات الشيك يا باشا"
(نادر): "اتفضل"

دفِع (علاء) الحساب، وهو يسب ويلعن الفرصة اللي عرّفته بـ(توفيق)، ساخراً من معرفته: "كل ده يا كفرة!؟ انتوا قاعدين بتتغذوا على المشروبات!؟ الحمد لله إنه مش مطعم"

نظر(ضياء) الأخ الأصغر لـ(علاء) نظرة غريبة، كأن السخرية لم تستهوِه.

تدخلت (دعاء) خطيبة (علاء) قائلة: "أومال لما نتجوز أنا وانت يا (علاء)، هتقعد تقولي الكلام ده!؟"

(علاء): "لأ إنتي حبيبة قلبي.... دا أنا هكتبهولك على حيطان الشقة"

ضحك الجميع.. ما عدا (ضياء) بالطبع!

تدخل (توفيق):

ـ "إحم إحم.. أكمل بقى ولا إيه؟"

خطف الجو مرة أخرى بجماله، وبالطبع أول المخطوفين المسحورة بجماله (هناء).

فـ(هناء) هي ابنة عم (علاء)، تعشق الحياة الهوائية؛ مشاعرها سطحية، نستطيع أن نقول بالبلدي (مخها طاقق)، ولكنها تصبح كجهاز الحاسب الآلي المعطوب، والذي أصيب نظام نوافذه بالـ(هانج)، ولفترة طويلة هي و(توفيق) في حالة إعجاب متبادل، ينويان الزواج، ولكن

الدراسة هي العائق؛ فـ(توفيق) يملك أموالًا طائلةً لا حصر لها، بمعنى أدق مال وجمال. ليس جميلًا فقط بل فتانًا!
فأكمل:
"وصلكوا كلامي إن الناس لازم تحكم على الجمال بحلاوة الروح؟"
ابتسم (علاء)....
نظر (توفيق) لـ(علاء): أنا فاهمك طبعا. نفسك تئلش عليا وتقولي (روح وتعالى بسرعة).. خلاص أنا حفظتك يا ظريف"
ضحك(ضياء) أخيراً، بعد كل التقطيب الذي أصاب وجهه، لدرجة أنك لو شاهدته ستحزن على حاله، وستعتقد أنه إذا ضحك قد يحدث تشقق في وجهه.
أما (علاء) لم يرحم (ضياء) من السخرية: "عجبتك أوي ياخويا!؟"
(ضياء): "آه عجبتني.. فيها حاجة!؟"
(علاء): "الحجر نطق ياجودعاااااان"
ابتسم الجميعِ مجاملة لـ(علاء)؛ فمؤشر السخرية بدأ في الزيادة مشيرا نحو (البياخة)، ملتفتين إلى (توفيق)، وبدأت نظرات التحريض ليكمل حديثه، الذي قاطعته سهام السخرية.

تبدلت نظرات (توفيق) للجدية: "حبيت أوريكم وجهة نظر معظم البشر عن الجمال، وبالأخص البنات، اللي دايماً بيبصوا لبعض على الجمال، ودي حلوة ودي وحشة، ومش واخدين بالهم إن اللي بيبقى هو جمال القلب"

تدخل (علاء): "(توفيق).. انت بتقدم برامج تليفزيون ولا بتكتب مقال صحفي ولا حاجة!؟ ما تدخل في الموضوع ياعم!"

هنا رمقت (هناء) (علاء) كأنها أطلقت رصاصة بعينيها تجاهه، انتقاماً من إحراجه لحبيبها وقرة عينها؛ فهي تعتبر نفسها الملاك الحارس لـ(توفيق).

فأصابت الرصاصة (علاء) في مقتل، أصابته في فمه فنزف الإحراج من وجنتيه وتدلت رأسه للأسفل، ليعلن وفاة سخريته المستمرة. وتجلت كلمة النهاية لتصبح الجلسة في جدية وترقب لباقي حديث (توفيق).

هنا أصبح التركيز هو الفعل السائد، فيخيم الظلام، ويصبح البطل هو العنصر المشع وملتقى الأنظار، والذي استغل الفرصة قائلًا:

"البوينت هنا إني بمهد لقصة لو حد تخيلها على نفسه هيحس بقشعريرة تسري في بدنه، خصوصًا إنها حدثت بالفعل"

تحدث (علاء) في قرارة نفسه: "لما نشوف...." فهو الآن لا يتجرأ أن يتفوه بكلمه قد تُطير رقبته في تلك اللحظة.
ضاقت عينا (توفيق) الخضراوتين، لينبعث منها إشعاع أخضر طفيف يبعث الخوف في النفوس، ويصدر صوت أزيز ساحر لتبدأ القصة.

*****

(1)

.. ضمور ونفور ..

(جمال) رغم اسمه، إلا أنه يعاني من قبح لا مثيل له. مخيف لنفسه وللغير. يتخوف كثيراً من النظر لنفسه أمام المرآة؛ فقد أصبح كارهًا لهذا الاختراع في حين أنه مفيد لجميع الناس.

الناس أصرّت على اعتباره مطلي بالجير أجرب، من اعتباره كشخص قبيح، جعلت منه مسخًا.

فلم يسلم من أطفال المنطقة، الذين يزفونه كالعريس لدرجة مستفزة، تجعله يذرف الدمع من دمار نفسيته. حتى الدمعة عندما تخرج من عينيه تواجه الصعوبات في انحدارها على وجنتيه المتعرجتين.

الأمر الذي جعل منه شخص ناقم على الحياة، منبوذ يهرب مثل الكونت (دراكولا)، ويخفي وجهه بنظارة كبيرة، ويرتدي الـ(آيس كاب)، يرتدي ملابس ذات ياقات طويلة تخفي معالم وجهه. يعيش مع والدته مثالًا للوفاء والشكرانية؛ فكثيراً ما كان يسمع من والدته الحكايات بخصوص والده المتوفى، مما تهز كيان قلبه له؛ فهو لا يتذكره إلا في شكل رؤية ضبابية، يتخيل مثال الشهامة والنبل وغيرها من أرقى الصفات، والتي نادراً ما تتمثل في الرجال.

وحين أدرك البشاعة التي مات بها، سخط على حال الدنيا، وأنه لم يتبق من رفات والده غير الذكرى المبجلة، والتي شهد لها أهل المنطقة.

وسرعان ما يتذكر بشاعة ما مر به والده من كفاح، وفي النهاية تعرضه لحادث مروع بدراجته البخارية.

فقد كان يمر مسرعًا بها من ممر ضيق، ولم يلمح تلك السيارة النصف نقل، والتي ظهرت من العدم. لم يستطع الرجل فعل شيء غير تقبل مصيره، وكان الاصطدام مروعًا أطاح بالرجل ليسقط ميتًا في الحال.

والدته سيدة طيبة جدًا، ليس لها أحد سواء من طرفها أو من طرف زوجها، فاستطاعت أن تربي (جمال) على جمال الخلق، وأقنعته بأن الجمال في الأخلاق، ولكن (الزن أمَرّ من السحر) كما يُقال؛ فمنذ أصبحت عاجزة على الكرسي، تفرغت لنفسها قليلًا، وما باليد حيلة، فقلت دروسها التربوية المحفزة لـ(جمال).

فضعفت نفسيته، وتربت عنده عقدة من الصعب حلها، ترسّخت داخل عقله، لتربطه وتشل مرونة سيل الأفكار داخله.

ولكن ما رَسَخ بداخله هو (جمال) الأخلاق؛ فهو طيب القلب بسيط، لا يرى غير النجاح أمامه في الدراسة. يأمل أن يجد حلًا لمشكلته، مسكين يتعرض لضغوطات وحرب

نفسية، تندلع من تضارب الأفكار داخله بين عقله وقلبه. يتمنى أن يهرب منها ولكن لا مفر.

*****

تأثرت (هناء): "يا حرام!"

وافقتها (دعاء) الرأي: "فعلًا يا حرام! إزاي عايش كده!؟"

لمح (علاء) (ضياء) يميل برأسه للأمام مغمضًا عينيه: "إيه يا(ضياء) هتنام!؟"

لم يبتسم أحد لمزحة (علاء)، بل لم يعره أحد انتباهًا؛ بل ترقبت أعينهم على شفتي (توفيق)، منتظرين انتهاءه من كوب الماء. نظر للساعة التي قاربت العاشرة مساءً، ثم أكمل...

*****

كثيراً ما ينظر للمرآة بكراهية وبغض. يتمنى أن يصفع مكتشفها أو مخترعها في ميدان عام، ويهشم تلك المرآة على جسده، لتنغرز أشلاؤها في جسده، وتتناثر الدماء من حوله، في مشهد مريب، كلما تخيله سرت بداخله تلك القشعريرة الباردة، والتي تنساب لتصل إلى فقرات العمود الفقري القطنية، وسرعان ما يرتاح نفسياً في بوتقة الخيال، بأنه صبح عليه الصباح، وإذا به وسيم كوسامة مهند (بطل المسلسلات التركية المدبلجة كما يطلق عليه المصريون). وإذا بتضارب الأفكار بداخله يطلق صفير الإنذار داخله،

لينطلق مثل السيارة (المانيوال)، لها سرعات متدرجة، ليبكي بكاءَ مريرًا حارًا، متدرجًا يزيد كلما غاص في قاع بوتقة التخيلات. يتمنى أن ينقذه أحد ويأخذ بيده ليخرجه مما هو فيه. يتمنى أن تفعل أمه ذلك، ولكنها الآن عاجزة، لا تكاد تسمعه من شده إعيائها، تتألم بداخلها لا تحرك ساكنًا، تتمنى أن تقبله وتحتضنه وتحيط به، وتُكسبه صلابة الفكر حتى لا تطيح به الأفكار السوداء يمينًا ويسارًا. يحاول أن يرتدي الدولاب كله ليخفي ملامحه القبيحة، ويلبس نظارات الشمس الخفيفة ليلًا، ويستعد للقاء صديقه (كريم)، والذي يعيش مع جده المشهور بـ(ماسيمو)، الذي عاش سنوات حياته بدولة إيطاليا، والتي أثَّرت عليه، وطبعت على عاداته وتقاليده وطريقة تحدثه، إلى أن اكتفى بالعمل هناك بعد وفاه ابنته (والدة كريم)، والتي قيل إنها ماتت في حادث سيارة مروع، وأفيد بأنها كانت قبلها تشرب حتى الثمالة، وبدلًا من التوقف ضغطت على دواسة البنزين إلى أن احتضنت سيارتها عامود كهرباء لم ينتقل من مكانه، بل أصر أن يغرس جذوره ويقف في الأرض كالوتد المتين على وجه التحدي، لتنبعج السيارة إثر الاصطدام، وبفعل القصور الذاتي تنطلق والدته كطلقة المدفع مارةً بزجاج السيارة، الذي نهش في جسدها هي وصديقها الحميم. زانية وخائنة

لزوجها، وكان هذا بمثابة شر خاتمة لهما معًا، هذا الأمر الذي جعل الأب هاجراَ للأسرة المبجلة، تاركًا (كريم) تحت تربية الجد مشككًا بأنه ليس من صلبه، متهمًا إياها بالخيانة أثناء غربته في إحدى قرى الصعيد.

وبالفعل من شابه أباه فما ظلم، والمقصد هنا أباها؛ فتربية الجد كانت أفضل من الأم؛ فمع مرور الزمن، تعلم المحترم (كريم) كافة الشتائم والألفاظ البذيئة بالعربية والإيطالية، وحان الوقت لينشرها في كتيب صغير، ليظهر في الغلاف مشيرا بإصبعه الأوسط، مسمياَ إياه (شتائم الوسيط بالنطق البسيط).

في الحقيقة لا يسأل (كريم) عن (جمال) إلا للمصلحة؛ فـ(جمال) شخص معتدل يهتم بدراسته، منتظم ويذاكر بجد، شاغله الوحيد هي وساوس قُبحه، لا يشغله غير ذلك أي شاغل في الحياة، ويعلم أن سؤال (كريم) يحوي مصلحة لقرب اختبارات آخر العام؛ فلابد أن يتقرب (كريم) منه ويطارده كالصديق (الأنتيم)؛ ليسطو على مذكراته وجهده طوال العام على الجاهز.

وبعلم (جمال) كل العلم بمصلحة (كريم)، فإن له هو الآخر مصلحة؛ فهو يعيش هذه الفترة كشخص طبيعي، له صديق يسأل عنه ويحادثه عبر الهاتف في تفاهات؛ فهذا أفضل بكثير من العزلة.

فعندما هاتف (كريم) (جمال) داعياَ له للعب الكرة، لم يلبث الثاني بأن وافق بكل فرح وسرور، مشترطًا الأول عليه أن يِحضر مذكرة الأستاذ (جودة) لمادة الكيمياء. وإن كان هذا ثمن الاندماج وسط البشر، فهنيئًا لك يا (كريم) بالمذكرات، بغض النظر عن التربية البذيئة لابن الزانية وحفيد السكير الإيطالي أو المتوهمِ الإيطالي.

بعد ارتداء الحذاء الرياضي، قبل القبيح والدته، التي ابتسمت له في سعادة ظنًّا منها أن الأمور على ما يرام.

وتوجه (جمال) إلى شقة الجد (ماسيمو)، ليطرق الباب في هدوء.

لا أحد!

اقترب (جمال) بأذنيه ليبحث عن أي صوت. لا يوجد. إلى أن سمع صوت تكسير بالداخل.

تسرب القلق داخله، فطرق بقوة هذه المرة.

***

*"أونو سيكوندو" (ثانية واحدة بالايطالية) "حاضر حاضر!"

تنهد (جمال) وزال القلق، لسماع صوت مجيب لا يفقه شيئًا في اللغة الإيطالية، واكتفى بـ "حاضر!"

فتح الجد الباب، مرتديًا جلبابًا بني اللون مزركشًا برسومات طفولية غريبة، وقبعة منِ القماش من ذات النوع الخاص بالجلباب، يرتدي جوربًا تنبعث منه رائحة

كريهة مختلطة برائحة الكحول، ليَنتج مزيجًا إذا توغل داخل الأنف قد تستعد للحصول على جائزة أفضل متقيأ في العالم.

ابتعد (جمال) للوراء ملوحًا بيديه؛ ليزيح أثر الرائحة من أمام مجسات أنفه.

قال الجد:

ـ "أيوة يا (جيمي).. كومو ستاي يا بني.. (إزيك)؟"

(جمال): "كومو إيه!؟ هو (كريم) فين يا جدو؟؟"

(ماسيمو): "هو انت متعرفشي؟ راح يجيبلي شيشة من القهوة تحت هو قال إنه قالك"

(جمال) (ونعم التربية يا جدو!!): "لأ ماقاليش"

(ماسيمو): "كوزا (إيه)!؟ بتقول حاجة يابني؟"

(جمال): "لأ ولا حاجة يا جدو"

التفت الرجل لداخل الشقة، فاتحا الباب على مصراعيه، مشيراً لـ(جمال) بالدخول: "ادخل يا ابني على ما ييجي.. كلها خمس دقايق"

(جمال) (محدثًا نفسه): "لازمته إيه الهري الإيطالي ده ما أنت حلو أهو وبتتكلم عربي كويس!!؟"

دلف (جمال) إلى الداخل، يتمنى مهاتفة الشرطة ليبلغ عن مدمن الخمر هذا، ويتمنى وجود لجنة متابعة لأصول التربية بمصر تستضيف الجد وتستجوبه، وتمن عليه بسيل

من المكافآت على حسن تربيته لحفيده، وتؤهل (كريم) لدخول السجن من أوسع أبوابه على مجاراته لجده. حقًا إنها أسرة غير متزنة ومختلة!

ترنح الرجل متوجهاً إلى النيش، والذي أصبح أشبه بالبار، تتراص عليه جميع أشكال الخمور والبيرة، ممسكًا بكأس صغير به بقايا خمر ليرتشفها، ثم أمسك بزجاجة غريبة المنظر، وصب منها في ذات الكأس، ونظر لـ (جمال) ضاحكًا: "فودكا؟ لالالالا لسه انت صغير وعيب"

ـ "وحياة أمك يا ظريف!؟" قالها (جمال) في سره.

أكمل الرجل محدثًا نفسه: "فين بقى الملح؟؟ دوفيه؟؟ دوفيه؟؟ (فين؟؟ فين؟؟) أهووووو هههههههه. ووضع القليل منه على يده، ثم أمسك بالكأس ليبتلع كل قطرة به من الفودكا، وسرعان ما قام بلحس الملح بلسانه، ليكشّر بعينيه من قوة تأثير هذا الخليط الغريب.

ـ "بالسم الهاري يا عيلة معفنة!". قالها (جمال) من قلبه بصوت ضعيف، ليلتفت وراءه، ليشاهد (كريم) الذي ينظر له باشمئزاز نظرة فاحصة على ما يرتديه، ممسكًا بشيشة.

(كريم): "انت هنا من إمتى؟؟" قالها وهو يخلع سماعات الووكمان، الذي وضعه في جيبه ليبدو كالنهد.

تنهد (جمال) في ارتياح: -في سره (لم يسمعني)- "من خمس دقايق"

(كريم): طب اتنيل اخرج برة.. هوضَّب الشيشة لجدو عشان يسيبني أخرج معاك. إلا صحيح جبت المذكرة؟"
أخرج (جمال) من تحت طيات ملابسه مذكرة صغيرة: "أهي!"
(كريم) متعجباَ: "دي صغيرة! هو ده المنهج!؟"
(جمال): دي المراجعة النهائية. صدقني هتفيدك أوي، وفيها المفيد والأستاذ شارح فيها الـ...
قاطعه (كريم): "يا عم انت هترغي!؟ خلاص اخرج استناني برة بشكلك ده، وأنا هحصلك بخمس دقايق، نروح مشوارنا وأصورها منك!"

***

خرج (جمال). عيناه احمرتا من القهر وسوء معاملة (كريم) له، متذكراَ كلمة (بشكلك ده!)، مذكرةً إياه بالمشكلة التي يعاني منها (جمال)، رغم مشاهدته لعينتين من سوء الأخلاق وتدنيهما. رغم شكلهما المعتدل، إلا أن شيطانه كان مقنعًا، نسّاه العبرة التي عاشها الآن لينهار من الداخل بعد كلمة (كريم)، والتي تزداد علوّاً داخل آذانه وكأنها طُبعت على طبلة أذنه، لتتكرر بصدى صوت لا يحتمل.

*****

(توفيق): "الساعة ١١.. أكمل؟"
(الشلة بصوت واحد): "كمـِــــــــــل!!"
(توفيق): "طيب نشرب حاجة بأة. يا (محمد).. إزيك؟"
(محمد): "إزيك يا (تيفا) باشا.. يا قمر. تحبوا تشربوا حاجة؟ إحنا مرضيناش نيجي نزعجكم. عارفين إن (نادر) مقفِّل حساب شرب ليكم فقلنا براحتكم"
(توفيق): "ولا يهمك يا (محمد). هاتلي شاي. كله شاي؟؟"
أومأ الجميع بالموافقة ماعدا (ضياء): "أنا بيبسي!"
(محمد): "تمام يا باشا سُكّركم إيه؟ ولا أقولكم أنا هجيبه برة.. ماشي؟"
ابتسم (علاء) لـ(محمد) ابتسامة تحمل في طياتها نفاقا بَيِّنًا: "ماشي يا (محمد).. متتأخرشي بس"
وبعد ذهاب (محمد) سرعان ما تلاشت الابتسامة: "لكّاك فحت!"
نظرت (دعاء) له قائلة: "حرام عليك يا أخي. الراجل محترم وبيحبنا"
لوّح (علاء) للوراء بظهر كفه في قرف: "يا شيخة! المهم كمل يا (تيفا)"
ضحكت (هناء) ضحكة سخرية: "دلوقتي كمّل يا (تيفا)!؟"
أحَسّ (علاء) بالإحراج رادًا على (هناء): "إيه يا (هناء).. مالك قارشة ملحتي ليه!؟"

ضحك (توفيق) من الموقف: "خلاص يا جماعة هكمل هكمل؟؟ وصلنا لفين؟؟"
رفع (ضياء) إصبعه الصغير: "لما خرج يستنى (كريم) برة"
طقطق (توفيق) بإصبعيه مشيرا ناحية (ضياء): "صح!"
نزل الشاي على المنضدة، واحتدت أصوات الملاعق في تقليب أكواب الشاي، كلٌّ بمقدار السكر المضاف لكل كوب، لتصدر دوامات صغيرة داخل كل كوب. دوامات تحملهم وتلف بهم، وتضعهم داخل القصة مرة أخرى.

*****

كان الجو باردًا. أخذ (جمال) يفرك يديه محاولًا تدفئة نفسه. سقطت منه المذكرة. أسرع لالتقاطها، ينظر ليديه في اشمئزاز، إلى تلك البثور التي طفحت في يده. يحمل على صدره كمية إحباط ثقيلة، محدّثًا نفسه:
"لماذا أنا!؟ هل هذا عيب خلقي!؟ هل كان أبي قريب لأمي!؟ أين أنت يا أبي!؟ لقد كنتَ وسيمًا، وأمي كذلك. هل أنا فعلًا ابنكم!؟"
تتصارع الهواجس والوساوس والتساؤلات داخل رأسه، لتتوقف لحظة ظهور (كريم) ممسكًا بالكرة، قائلًا:
"جاهز يا (جمال)؟ هناخد جولة كده لغاية عم (علي). ممكن أشتغل عنده بعد الامتحانات بس اوعى تعرف جدي"

عاد (جمال) إلى أرض الواقع مرة أخري، وأومأ برأسه إيجاباً.

توقفوا عند مكتبة من الطراز القديم، تحوي لافتة (هنا تصوير مستندات)، وتم حصول (كريم) على نسخة ضوئية من المذكرة، منبهًا على (جمال) بباقي المواد الدراسية، وأن الخطة ستكون على هذا المنوال.

وكما سبق الذكر، (جمال) لا يُلقي بالًا لضياع مجهوده على أشخاص تافهة لا تستحق بنسبة ١% أن تتحصل على درجة النجاح"

طالما تواجدت الصداقة حتى وإن كانت زائفة، سيرضى بها؛ فبمجرد الجلوس وحيدًا سيقترب من حدي الجنون والاكتئاب معًا.

شد (كريم) (جمال) من ذراعه: "يلا نروح نشوف أكل عيشنا ونتفق على الشغلانة"

(جمال): "ماشي"

وبعد مسافة ليست بقصيرة، وصلا إلى مخزن كبير، يتوسطه شخص ضخم الجثة رغم ملامح وجهه الطيبة، يبدو عليه البشاشة، يبدو أنه صاحب المكان أو مدير العمال به.

(كريم) وهو يصيح: عم (علي الحلواني).. إزيك!؟"

عم (على): "إزيك يا وله يا (كريم). جدك الخواجة عامل إيه؟"
(كريم): "بيسلم عليك. بس هو ميعرفشي إني هسوق عربية عندك أحسن ينفخني"
عم (علي): "عيب يا ولا! هو ضايع أصلًا من الهباب اللي بيسفّه كل شوية.. بس متخافشي. ومين المخبر السري اللي معاك ده!؟ انت مبلغ عني ياد!؟"
(كريم) محتضنًا (جمال) بذراعه الأيسر: "هههههههههههه.. ده صاحبي (جمال)، وأنتيم حياتي"
مد الرجل يده ليصافح (جمال): "تشرفنا يا (جمال).. انت جاي برضه عاوز شغل؟"
(جمال): "أنا... أنا... شغل!؟ ليه لأ!؟"
عم (علي): "خلاص.. انت و(كيمو) بتعرفوا تسوقوا؟"
تدخل (كريم) بغيرة واضحة: "أصل (جمال) حساس شوية.. قلبه ضعيف مش هيستحمل مطب"
أسكته (جمال) برد لاإرادي: "لأ أنا بعرف أسوق ومش حساس، وقلبي حديد"
ضحك الرجل متفهمًا الغيرة التي توهجت داخل (كريم) خوفا من ضياع الوظيفة: "متخافشي يا (كريم).. انتوا الاتنين هتشتغلوا عندي.. انت تسافر للفرع الرئيسي، و(جمال) يمسك الفرع القريب"

جدير بالذكر أن عم (علي) يتاجر في الإسمنت والجبس وجميع مواد البناء. يملك فرعين توزيع أحدهما أساسي والآخر فرعي....

(جمال) لا يستطيع أن يقود دراجة، ولكنه يمتاز بسرعة الاستجابة والتعلم؛ ذهنه حاضر في هذه المسائل.

يِظن (جمال) الآن أنه قد حان الوقت لتعلم أي مهنة يُرزق منها بدلًا من توسّط المستوى الذي تركه فيه والده بعد أن وافته المنية من سنوات عدة وتركه صغيرًا ليلتزم بتعاليم والدته.

فرح (جمال) من فرصة الرزق التي لم تكن على البال.

وأحس أن عم (علي) من النادرين ممن لا يبالون بمشكلة قبحه، طالما أنه شخص عامل ويحقق هدفه.

لفظ الرجل نفسًا طويلًا من شيشة قابعة أمامه، تبدو كتحفة فنية فهي من الطراز القديم جدًا.

عم (علي): خلاص يا رجالة.. كح كح.. خلصوا الامتحانات على خير وتيجوا تِستلموا الشغل. كل واحد فيكم هيبقى معاه سواق تبّاع ليه يباشروا الشغل معاكم الأول ويوجهوكم؛ عشان تتعلموا، وبعدين هسحبهم منكم لما تتودّكوا. بالسلامة انتوا"

ووقف في عصبية مفتعلة: "انت يابني ماتغيّر لي الحجر ده! ماله كده مرطب!؟ مش عارف أشد نفس واحد!"

على الفور انطلق صبي صغير، ممسكًا بملقاط ومبخرة تحوي عددًا من الأحجار المتوهجة كالجمرات، واضعًا أحدهم بعد أن أزال الحجر الرطب، وأمسك بلايّ الشيشة مجربًا إياه.
أ شار (كريم) بيديه سلامًا: "شكرا يا عم (علي).. سلام"
ملتفتا إلى (جمال): بينا يا محظوظ.. أهي جتلك فرصة شغل عشان تشكرني بس. أنا اللي جبتك هنا، حَكَمْ انت متعرفشي عم (علي) راجل مفتّح أوي، وإيده طارشة في الفكة. هيقبضنا بالدونار"
(جمال): "قصدك (دولار)"
(كريم): "أيوااااا.. هو الدولار ده"
سرح (جمال) في حلم باغته للحظة؛ يتخيل أن معه ما يكفي من نقود لعرض نفسه على أخصائي لحالته -لم يكن يوجد حينذاك أخصائية تجميل- وإذا به ينجح في القضاء على تجعيدات وتعرجات وجهه، وتختفي بثوره!
"انت يا عم رحت فين!؟ انت صدقت اللي بقولهولك!؟ ههههههههههه"
أجاب (جمال) محاولا تفادي ملامح الصدمة (لقد صدَّق بالفعل!):
"أكيد لأ"

(كريم): "طب يلا بينا نروح نقابل العيال عشان نبتدي الماتش"
وانطلقا ليلعبا الكرة.
من الطبيعي أن (الطيور على أشكالها تقع)؛ فجميع أصدقاء المحترم (كريم) من ذات العينة الفاسدة، وكلهم بلا استثناء يعلمون الثروة المعلوماتية التي بحوزتهم، فتتجلي جميع أشكال النفاق بألوانها، لتصبغ على (جمال). مدركًا الهدف والمصلحة ولا يبالي؛ فهو يعيش لحظة مؤقتة، وبما أنه يفتقدها فهو يحاول جاهدًا التمتع بها؛ فالأيام تجري وعاجلًا أم آجلًا سيصبح وحيدًا وفي انتظار سنة دراسية جديدة، بل الانتقال إلى مرحلة جديدة وهي الجامعة؛ فهذه السنة هي المصير الذي يحدد طبيعة مستقبله.
واستمر الحال على هذا المنوال. تصوير النسخ الضوئية إلى الأصحاب، وتصوير مشاهد النفاق من الأصحاب.
والدته تدعو له بالتوفيق، يحتدّ تأثير المرض عليها شيئًا فشيئًا، فتقل قدرتها على الدعاء إلا من قلبها؛ فهي تعاني من شيخوخة مبكرة بسبب ضعف مناعتها، فبدأت في الذبول، وبدأت ملامح العجز تظهر بها شكلًا وفعلًا. أصبح (جمال) جليسًا لها، لا يملك المال الكافي لعلاجها، يصرف قوت يومه من معاش الأب المتوفى.

إلى أن أتى اليوم الذي يتوقعه: يوم كشف المستور! وهو يوم ظهور أصدقائه بوجوههم القاتمة العابسة الحقيقية لطرده من مرافقتهم.

دعوه، على غير المتوقع، للعب الكرة، بالرغم من تمام عملية السطو المعرفية وانتهاء المذكرات.

هل أحبوه وقرروا استقطابه للشلة!؟ أم خصصوا اليوم لشكره!؟

سؤال أغرب من سؤال!!

من الواضح أن الإجابة تجلّت؛ ألا وهي أنهم خصصوا اليوم لشكره!! أصحيح هذا!؟

نعم صحيح، ولكن شكر من نوع خاص. شكر قد تضعه وساماً على صدرك ليخترقه من السخونة.

ففي وسط المباراة، حدث تعارض مفتعل من (عباس)، أحد أعضاء الشلة، على النتيجة الحالية وهل الهدف الأخير محتسب أم لا.

وبسلامة نية (جمال)، اعترض مفسراَ سبب الاعتراض.

قابله (نجيب)، كابتن الفريق الخصم، وأحد كبار الشلة، بصفعة رهيبة على صدغه، وكأنه مقاتل وأراد أن يِجهِز على خصمه. كانت الصفعة بغلّ على حق؛ جعلت من (جمال) طائراَ في الهواء، ليهبط على الأرض وقد اصطبغ وجهه القبيح باللون الأسود وليس الأحمر، هو في الحقيقة

أحمر قاتم. وأحس بخيط الدماء الذي شق طريقة تاركًا شفتيه سائلًا على ذقنه.
هاج صدره علوًا وانخفاضًا، تصبب العرق من وجهه، أصيبِ قلبه بالجنون، فكاد أن يُنتزع خارج صدره الهائج. مسببًا كبتًا رهيبًا بداخله.
أهذا هو جزاء مساعدتي!؟
جز على أسنانه بعنف، وفكر.. أيُقدم على مواجهه الشلة؟
لا؛ إنها معركة محسومة؛ إنه المهزوم الوحيد والخسائر ستتوالى.
ارتفعت صيحات وضحكات الفريقين.
هناك من يضحك بنية الاستهزاء، وهناك من أعجبه مشهد الطائر وهو يهبط، وهناك من ينافق (نجيب) كبير الشلة.
- "قوم يا حبيبي ومتلعبشي معانا تاني. هتعمل فيها أبو العُرّيف!!؟"
اختتم (كريم) الموقف بعبارته، والتي تحوي ما توقعه (جمال)؛ إنه الطرد العلني من الشلة طالما ليس له نفع. ليس له مكان هنا!
تمنى (جمال) أن تنشق الأرض لتبتلعه، ولكنه تأكد أنه لو حدث هذا قد تتقيأه مرة أخرى لقبحه، ولن تتقبله كوجبة مشبعة لرغبتها؛ فالظروف كلها، كلهاااا بلا استثناء، ضده!!

وقف على الأرض، يحاول أن يتجاهل عبارات السخط، والشتائم اللاذعة، وقلة القيمة.. يحاول أن يجمع ما تناثر من شتات كرامته وما تبقى. لم يستطع أن يوقف هبوط الدموع، والتي كوّنت سيلًا مختلطة بسيل الدماء بوجهه. يحس باحتراقها، وبسخونتها موضع الجرح. لا يبالي بهذا الألم؛ الأهم أن يبتعد عن هؤلاء الأوغاد. وبدأ ينسحب بترنح من أثر السقوط.

***

وصل (جمال) إلى شقته. تصادفت عيناه مع عيني والدته التي لمحت مشهده المقيت. أحست كأم -مثل أي أم تشعر بالخطر- بانفطار قلب قرة عينها ووحيدها، وكأن الانفطار انتقل إليها، فذرفت الدموع، لا تقوى على سؤاله عما حدث.

بل عاد إليها سمعها عندما ضرب (جمال) الباب بكلتا يديه، دالفًا لغرفته، مغلقًا إياه بعنف، لتنتفض!!

ومع صوت بكاء (جمال)، كان مؤشر حياتها يسير للصفر تدريجيا. حاولت المسكينة أن تتشبث بأثاث المنزل؛ محاولة الوصول إلى غرفته لتحتضنه. ولكن طاقتها قاربت النفاذ، ولفظت أنفاسها الأخيرة، ليهوي جسدها على الأرض بصوت عال!!

***

ـ "ماماااااااا!!!"

أسرع (جمال) ليفتح الباب، متمنيًا عكس ما رسمته خيالاته السوداء، ولكنها كانت أسود بكثير. توقع إغماءة، أو جرح بسيط، أو قطعي إن ساءت الأحوال.

ولكنها أمامه الآن جثة هامدة!

ـ "ماماااااااا! مااااماااااااا! ردي عليا! متسيبنيش!!"

ارتفع صياحه، ليستيقظ الجيران من نومهم العميق، يطرقون الباب ولا جدوى غير صراخ (جمال) لفراق والدته. مما دفعهم لكسر الباب، ليشاهدوا هذا المشهد المأساوي لـ(جمال)، وهو يضمها على صدره، يعوي ويصرخ.

الناس تضرب كفًا على كف من فرط حزن المشهد.

أصبح (جمال) وحيدًا بلا أب ولا أم تحنو عليه. حُرِم من نعمة النظر إلى وجهيهما، الذَيْن طالما كانا يبعثان الراحة في النفوس، وكانا خير علاج لحالته النفسية التي ساءت بمراحل.

كيف يسيطر على أعصابه بهذا الشكل!؟ لو أن أحدًا في موضعه لذهب إلى شلة الأوغاد هذه، واتخذ فيلم (أمير الانتقام) قدوته، وانهال عليهم بسيل من الانتقامات المسلسلة والمخططة.

إنهم السبب في هذا!

قالها في نفسه "ليكم يوم!!"

وودع والدته بقبلة على رأسها. السيدة التي اشتهرت بإخلاصها اللامتناهي.
وقرأ لها الفاتحة وما تيسر من القرآن، بعد أن أغلق عليها باب القبر بمقبرة النساء، بجانب قبر والده بمقبرة الرجال.
رفع رأسه للسماء يدعو لها بالمغفرة والجنة.
يحكي لهما مشاكله المتعلقة بالقبح.
ظل هكذا حتى غروب الشمس. يرفض ذهنه قصة فراق الأم والأب، وأنه أصبح وحيدًا.
نظر للساعة، وودّعَهُما تاركًا المقابر.
عائدًا إلى منزله.
إلى رِهبة الوِحدة!
كان هذا قبل اختبارات الثانوية بأسبوع.
فحسم أمره. لن يُكمل دراسته، ولا يدري لماذا اتخذ هذا القرار؛ فالمصروفات قد تكفي له لوحده.
يبدو أنه كره الحياة بعد فراق أعزائه.
تسطَّح على السرير بعد تعب اليوم.

***

ـ "(جمال)!"
(جمال): "ماما!!؟"
ـ "أيوة يا حبيبي"
(جمال): "وحشتيني يا ماما"

ـ "................"
(جمال): "ماما مش بتردي ليه!؟"
اقترب (جمال) إلى والدته، التي أعطت له ظهرها، جالسة على الكرسي.
(جمال): "ماما..!؟"
سقطت والدته على الأرض، تشنج جسدها بعنف، يتصبب العرق من جميع ثغرات جسدها.
ـ "انت السبب!"
(جمال): "أنا!!؟"
صرخت والدته بصراخ يصم الآذان، بعدها سمع صوت باب غرفته يُغلق بعنف، ليلتفت إلى مصدر الصوت.
عاد لينظر إلى والدته الملقاة وقد اختفت!
وقبل أن يندهش، أحس بيد باردة تجثم بقسوة على كتفه الأيمن، فإذا بها والدته، وقد امتلأ وجهها ببثور وبقع سوداء، وانقلبت عيناها ناصعة البياض.
ـ "انت السبب!"
انتفض (جمال) من نومه، وقد أحس أنه لن يستطيع الخلاص من هذا الكابوس. لقسوة يد والدته على كتفه أحس أنه لن يستطيع الفرار منها، وأنه أصبح حبيسًا لكابوسه. يفرك ويحك جسده بيديه. برودة شديدة!!

صمت رهيب في الشقة، باستثناء صوت أنفاس (جمال) المتسارعة المختلطة بدقات قلبه، حاول (جمال) أن يتمالك أعصابه، ويسيطر على نفسه. وبينما يحاول الترجل من سريره، أحس ببرودة بلاط الحجرة، ولكن هذا عادي إنه الشتاء. غير العادي أنه أحس ببرودة ثلجية كأنه خطا على أراضي بلاد الإسكيمو، وكان رد فعله صرخة مكتومة من الألم، وقفز على المشَّاية التي تبعد عنه بمترين!

كان تغير مناخ الشقة يبعث القلق في صدر (جمال)، ولكنه حاول ألا يُقلق نفسه؛ فوراءه ما يكفي من حزن على فراق والديه، جعلَه متناسياً الغرائب الحادثة له.

*****

تحفز الأصدقاء تأثراَ بالقصة، وأكمل (توفيق): "واخدين بالكم قد إيه كان عايش البؤس بحذافيره!؟"

أحس (علاء) بتوتر (توفيق)، فقاطعه: "انت مالك كده بتترعش!؟"

لأول مرة على غير المعهود ينظر (توفيق) بتوتر ملحوظ وغضب قائلًا: "لما تسيبني أكمل هتعرف!"

بسط الثاني كفيه في وجهه: "خلاص كمِّل.. كمِّل"

<u>الساعة الثانية عشر صباحًا</u>

(توفيق): "طب قبل ما أكمل، مش هتروّح الواد (ضياء). وبعدين يا ريت نغير المكان. إيه رأيكم؟؟"

أومأ الجميع موافقةً، بينما مط (ضياء) شفتيه متضرعًا لـ(علاء)، الذي لم يعر تضرعاته انتباهًا، فانقلب وجهه غيظًا؛ فهو الصغير، والتعليمات تسير عليه صارمة، فأصاب الجميع بصداع نصفي رهيب بصوته المُلِحّ: "عاوز أبقى معاكم!!"، مما جعل هدف (توفيق) التخلص منه. فتح للجميع السيارة فسبقهم (ضياء)، ثم دفع الحساب ولحق بهم، وقاد بهم إلى منزل (علاء)، الذي قام بالاتصال مسبقًا بأسرته، التي استلمت منه الصغير، وتسلّمته ببعض النصائح (خلي بالك من نفسك - متبعدوش - خلي بالك من البنات اللي معاك دول أمانة في رقبتكم انت و(توفيق) -...إلخ). يستمع لكل واحدة هابطًا درجات السلم مجيبا: (حاضر - حاضر - حاضر)

عبر (علاء) بوابة العمارة، ممسكًا بشيء يُخبأه تحت الچاكيت، ويغلق السوستة عليه.

ولكن أين السيارة!؟؟

وكأن الأرض ابتلعتها!

***

ـ "(علاء).. هنا!!"

تنفس (علاء) الصعداء. إرهاق السهر لعب دوراً هامًا في فقد تركيزه، وعدم ملاحظة مكان السيارة، والذي تغير بتغيير الوجهة. أسرع (علاء) إلى السيارة قائلًا:

"إيه يا عم أنا بحسبكم رحتوا في حتة!"
(توفيق): "هنروح فين!؟ مستنيينك.. اركب!"
وانطلقت السيارة، إلى مكان لا يعلمه غير الله و(توفيق)، وكان مفاجأة بالنسبة للجميع، على حدِ قوله.
وأثناء الطريق أكمل (توفيق) جزءاَ من باقي القصة، رافضًا ذكر وجهته، رغم إلحاح (هناء) الفظيع، وتحجّر دماغ (توفيق) ثابتًا على رأيه بجعلها مفاجأة.

*****

بالطبع كان لـ(كريم) -مثال النفاق- دورًا في تدمير حياة (جمال)، لكنه لم ينجح. فمتى قرر أن لا يستمر بدراسته، قرر التوجه لعم (علي). لم يشغله غير أخذ واجب العزاء في شقته المتواضعة، والتي لم يحضر العزاء بها غير القليل ممن يكنّون الحب لأسرته.
ما الذي حدث للناس!؟ أين الحب المتبادل بين الجيران!؟ لقد اختفى هذا التلاحم وتحللت روابطه، وحلت محلها أمارات النفاق البيِن والنميمة المتوحشة.
ليس موضوعنا!
دخل الجد (ماسيمو) إلى شقة (جمال)، فرآه يقف أمام الكاسيت يبدل شريط القرآن للوجه الأخر، ليكمل تلاوة القرآن بصوت خافت يبعث الطمأنينة في النفوس، ويريح البال، ويزهق الحزن الموصوم في صدر (جمال).

(ماسيمو): "(جمال) ابني! البقاء لله! كوندوليانسيه (تعازيّ)"
(جمال): "الله يخليك يا جدو. الدوام لله. منجيلكشي في حاجة وحشة"
تقدم الجد مترنحًا؛ فالكحول أصبح من مكونات دمائه، ليجلس على الكرسي المقابل يستمع للقرآن وينصت، يبدو عليه بعض من الندم على ما أضاع به حياته من سكر وعربدة في دول أوروبا ولم يهتم بدينه.
وفجأة دخل عم (علي)!
- "(جمال)!"
اندهش (جمال): "المعلم (علي).. أهلًا بيك.. أهلًا وسهلًا"
عم (علي): "أول ما عرفت على طول يا ابني قلت آجي أعزيك. البقاء لله"
(جمال): "والدوام لله. تسلم. وحضرتك منورني"
- "يعني تسلِّم ع الراجل وتسيبني!؟ كح كح كح"
التفت عم (علي) إلى مصدر الصوت بتعجب، سرعان مازال وتحول إلى فرح داخلي: "(ماسيمو).. إزيك يا راجل أخبارك إيه!؟"
(ماسيمو): الحمد لله. فينك كده!؟ سمعت من الواد (كريم) إنك فتحت فرع تاني، وإن انت مشغول دلوقتي،

وإنك عرضت شغل عليه بس هو اعتذر لك عشان بيهتم بدراسته"
نظر (جمال) للأرض غيظًا، وبصوت ضعيف: "عيل كداب!!"
عم (علي): "الحمد لله.. الحمد لله.. (كريم) آه شفته مرة وبعتِّله السلام" ونظر لـ(جمال) نظرة فهم معناها (الراجل ميعرفشي).
أومأ (جمال) متفهمًا، وملتفتًا إلى أحد الجالسين رافعًا يديه (شكر الله سعيكم)، تاركًا العجوزين لحالهم، ينهشون في الماضي الذي عاشوه خافضين أصواتهما، مقدرين العزاء المتواجدين فيه.
ومر الوقت!
وانصرف (ماسيمو)..
وهم عم (علي) مصافحًا (جمال): "يا ريت كنت تشتغل عندي. أنا بحبِ اللي زيك كده. ليه غيرت رأيك!؟"
(جمال) متعجبًا: "دا أنا كنت جايلك بكرة يا معلم.. أنا ماغيّرتش رأيي"
عم (علي): "الواد (كريم) الوسخ قالي كده. طالع لجده كداب كده. عموما أنا لما أشغّله مش هخليه يسوق. هدوّقه المر أخليه يتربى من أول وجديد"
أومأ (جمال) إيماءه خفيفة متفهمًا الوضع.

عم (على): "خلاص مستنيك بكرة يا (جمال).. وحتى لو مش بتعرف تسوق، هخلي معاك (بيتر) يعلمك ويساعدك. يلا سلام"

التفت الرجل كأنه تذكر شيئًا: "إلا صحيح مكانشي وراك امتحانات!؟"

(جمال): "آه بس قررت مكملشي الدراسة"

عم (علي) وبأسى شديد: "ولو إني يابني مش هقدر أضغط عليك عشان مبفهمشي في القصص دي. كان ليا ابن صغير بس اتوفى في حادثة مع أمه، فمعشتش جو التعليم ده. منه لله بأة (حمادة) السواق؛ كان بيسوق بسرعة". نظر للأرض حزنًا وأكمل: "طب عاوزني أساعدك بمصاريف ولا حاجة لو مقصرة؟؟"

(جمال): "البقاء لله. في الجنة يا معلم. لأ والله مستورة والحمد لله"

وانصرف عم (علي)..

ليصبح (جمال) وحيدًا في الشقة بجدرانها الثلاثة.

هل قلت ثلاثة!؟

نعم؛ فمجرد ما أغلق باب الشقة، نظر للحائط المقابل، وقد اختفى ليظهر هلامٌ أحمر اللون شديد النقاء، يبتلع معلقات الحائط، ويبدأ في الانتشار مبتلعًا متعلقات الشقة

وأثاثها، وفجأة تخرج يد يعرفها جيدًا؛ إنها يد والدته، ورأسها تباعًا، مشيرةً إليه:
"انت السبب يا (جماااال)"
شهق (جمال) شهقة فزع، عندما أدرك أن الهلام بدأ في التغلب على مقاومته التي باءت بالفشل، ويسحبه هو الآخر.
واحمرت الدنيا من حوله. احمرارًا دمويًا.

****

يقولون:
أنه عندما تطاردك الأشباح، وإن كانوا أقرب الناس إليك، فإنهم بلا عاطفة. لتتخلص من هذا الـ (haunt) لابد من تنفيذ ما يملون عليك من طلبات عسرت أم يسرت.

****

تردد الصوت بعنف قائلًا: "(جمال).. ابقى تعالى زرني!"
كلما تردد الصوت اهتزت أجواء الهلام من حول (جمال) في ليونة، محدثة موجات مائية تدريجية سريعة، سرعان ما تختفي.
(جمال): "ماما.. أنا عمري ما هنساكي. ليه بتقولي كده!؟"

تجمع الهلام مكوذً ا ثعبانًا غير واضح المعالم، واندفع لفم (جمال) الذي اتسعت حدقتا عينيه من الرعب، مبتلعًا الهلام رغمًا عنه، محاولًا غلق فمه، ليوقف هذا الاندفاع، ولكن بلا جدوى.

الصوت: "قلتلك زرني!!"

(جمال): "امممممممممم". وسقط على الأرض مغشيًا عليه.

وفجأة استيقظ (جمال) أمام باب الشقة!

كل شيء عاد كما كان.

أحس (جمال) بطعم غريب في فمه.

تحسس (جمال) شفتيه، موضع الجرح الذي سببه له (نجيب)، وها قد فُتح مرة أخرى نتيجة لعض شفتيه.

انطلق مترنحًا نحو الحوض، وكأنها رحلة عذاب استغرقت وقتًا طويلًا للوصول، ثم فتح صنبور الماء، لينساب منه الهلام الأحمر مرة أخرى، ليسقط (جمال) على الأرض مرة أخرى.

إنه الصدأ!

سرعان ما تبدل اللون إلى الشفاف، بعدما عانت المياه بعض الصعوبات، وهي تخور نتيجة تجاويف الهواء بالصنبور.

استند المسكين على الحوض، وأدلى برأسه تحت خط الماء، وبدأ في التساؤل: "هل عليّ التنفيذ أم لا!؟ أزور أم لا!؟"
من الطبيعي زيارة الوالدين في المقابر؛ فهي واجبة على الابن، ولكنه توجس خيفة من هذه الكوابيس، ففضل أن تهدأ نفسيته، ثم يعاود بالزيارة، فاصلًا العلاقة بين الزيارة وسبب هذه الكوابيس التي يكاد يقسم أنها حقيقة.

***

ـ "(جمااااال).. ابقى تعالى زرني يا ابنـــــــــي!!"
استيقظ (جمال) على الصوت الحزين.
يفكر باهتمام في الكوابيس التي بدأت تُبَثّ في عقله في الفترة الراهنة.
هل هذه رسالة واجب تنفيذها؟؟ أم تحذير؟؟
لماذا يشاهد والدته بهذه الأشكال المخيفة!؟
لماذا لا يرى كل شيء جميلًا بالإضافة لشكله القبيح!؟
راودته تلك الهواجس إلى أن جرته قدماه للمعلم (علي).
(جمال): "السلام عليكم.."
(علي): "وعليكم السلام، صممت برضه اللي في دماغك مش هتكمل دراسة!؟"
(جمال): "آه..."
(علي): خلاص يا (جمال) براحتك.. العربية أهي فيها الواد (بيتر) مستنيك، هيعرّفك الشغل إزاي. ولو مش بتعرف

تسوق هيعلمك، وخد وقتك.. الشغلانة بتاعتك، وأنا مش هتضايق منك يا (جمال). أنا يابني استريحتلك"

(جمال) يستمتع بخطاب المعلم (علي) محدثا نفسه: "يااااااه! الراجل ده طيب أوي، بيديني أمل في الحياة. والله استريحتله أنا كمان"

مرت أيام قليلة، وأصبح لـ(جمال) مكانة وسط زملاء العمل، فأصبح وسيطًا لهم عند المعلم (علي)، مثالًا للإخلاص. تناسى مشكلة قبحه بمجرد أن رأى أناسًا تحبه لشخصه. كما أحبه المعلم (علي) جدًا وأصبح مثل الابن الذي لم يلده"

إلى أن أتى (كريم)، جائرًا عليه، محولًا حياته إلى جحيم مرة ثانية!!

*****

(2)
،، ابتسامة أمــل ،،

مرت الأيام، وانتهت اختبارات الثانوية العامة، وجاء (كريم) لاستلام العمل، يستشيط غضباً فور علمه بمكانة (جمال) ووضعه المكتسب.
ازداد غضباً عندما علم بأن وضعه تغير؛ ولن يقود سيارة، بل وظيفة (أمين المخزن) هي مصيره.
بدأ في النميمة.. بدأ في إحداث الوقيعة.. ولرخاوة قلوب العاملين، بدؤ وا في التصديق تدريجياً.
حاول (جمال) أن يشكو للمعلم (علي)، ولكنه توجس خيفة من رد فعل (كريم)، فآثر السكوت.
كانت تصل له المعلومة من (بيتر)، والذي يثق فيه ثقة عمياء.
ففي هذه الفترة اختفت الكوابيس، ولكن بسبب الضغط النفسي الذي سببه (كريم)، عادت بقوة، وتجسدت له وهو في أشد حالات اليقظة، أصبح لا يدرك الحقيقة من الوهم.
- "ابقى تعالى زرني يا (جماااال)"
(جمال) يرتعد ليلًا: "حاضر يا ماما"
- "بالليييل يا (جمال).. تعالى بليل"
الوضع الحالي أصبح حرجًا ،وأصبحت أسئلة (ماذا لو؟) تشن هجومًا قاسياً في ذهن (جمال).
ماذا لو كنت أتخيل؟؟

ماذا لو أصبت بمرض نفسي؟؟
ماذا لو كان ذهابي ليلًا خطراَ، ويعتبر ضرباً من الجنون؟؟
تخللت الوساوس القهرية تلابيب وتعرجات مخه الهش، لتسيطر عليه سيطرة كاملةً. آلام لا تُحتمل!
لابد أن يتوقف الألم!
لابد من زيارة قبر أمي ليلًا! لابد من تنفيذ الأمر!

*****

يهمس الصوت في سماعة الهاتف في خلفية مشوشة:
"ا....بق....ى ت....عالى..... يا جم...ال... بالليل..."
(جمال): "ألو....!؟"
يزول التشويش... ليعود صوت (بيتر) مرة أخري:
"انت يا ابني رحت فين؟؟"
(جمال): "مروحتش.. صوتك قطع فجأة!!"
(بيتر): "الساعة كام؟"
(جمال) ينظر لساعة حائط ذات لون ذهبي أسفلها بندول ضخم الحجم ككبشة الطعام، مقبل لليمين ذاهب لليسار، إذا نظرت إليه يبعث داخلك التوتر، وما أدراك بصوتها الرتيبي التي يحثك على تكسيرها.
ـ "الساعة ١٢"
(بيتر): "كنت بتقول إيه بأة؟"

(جمال): "هروح مشوار بالعربية بس متقولشي للمعلم (علي)، وهجيلك على الفجر نبتدي شغل"
(بيتر): "مممم.. عشان كده طلبت تركنها عندك. (جمال).. أول مرة تخبي عليا حاجة يا صاحبي! في إيه!؟"
(جمال): "مش بخبي عليك حاجة. ولا أقولك... هزور أمي يا عم على الفجر أدعيلها عشان وحشاني!"
(بيتر): "سايب اليوم كله ورايح الفجر!!؟"
(جمال): "عادي نفسي أروحلها، وكمان والدي ووالدتي وحشنّي يا جدع.. ثم دي ساعة استجابة عاوز أدعيلهم"
(بيتر): "خلاص يا عم.. متعملشي مصيبة. مش مستريح المرة دي.. وشكل (كريم) هيطلع كلامه صح!"
تسمر (جمال) مكانه: "(كريم) قال إيه؟؟"
(بيتر) وقد أحس بالحماقة وقد ضرب على جبهته: "لأ ولا حاجة!"
(جمال) بغيظ: "(بيييتر)!"
(بيتر): "يا عم قلتلك ولا حاجة.. مجرد كلام يا عم متدقش"
(جمال) وقد نفذ صبره وبصوت عال: "(بيييتر)!!"
(بيتر): "جرى إيه يا (جمال) أول مرة تتعصب كده! بأة يا سيدي (كريم) بيقول إنك تصرفاتك بقت مش طبيعية، ولما بيبص من شباك البيت بتاع المسقط على شباكك بيشوف

مامتك، أو واحدة شبه مامتك مش عارف، وهي واقفة قدام الشباك اللي قصادهم!!"

(جمال) لا يدري لماذا أحس أن (كريم) لا يكذب، وهذا يفسر سبب ابتعاده وعدم تعرضه له، باستثناء الهجوم اللاسلكي الذي يشنه عليه بالنميمة.

(بيتر): "(جمال)؟"

(جمال): "ماما ميتة يا (بيتر)"

(بيتر): "مانا عارف إن الله يرحمها.. بس (كريم) كل يوم يحكي القصة دي.. ساب التريقة عليك ودايمًا بيحكي القصة دي. ومش عارف ليه أنا حاسس إنه بيحكي وهو خايف. حسينا إنه اتجنن"

(جمال): "قال إيه كمان!؟"

(بيتر): "ولا حاجة.. كل يوم بيشوف مامتك واقفة لمدة ساعة، وبعدين بتقع على الأرض كأنها أغمى عليها. كل يوم على الحال ده بالليل"

(جمال) يربط الأحداث (إنها حجرتها): "متصدَّقهوش.. أنا لازم أعرّفه يعني إيه بيجيب سيرة أمي! كلب ابن (ز****) أمه مخلتشي التربية تسلّم عليه"

ثم أغلق (جمال) الاتصال في وجه (بيتر) من فرط الغضب قائلًا: "هعرّفك يا (كريم).. بكفاية أوي!"

رن جرس الهاتف مرة أخري...

التقط (جمال) السماعة، وقد أحس بالذنب من غلق الهاتف في وجه صديقه: "ألو..."
تشويش.....
(جمال): "ألو"
تشويش.......
قبل أن يهم (جمال) بوضع السماعة مكانها...
(بيتر): "ألو.. في إيه في تليفونك يا عم!؟"
(جمال): "مفيش.. معلشِ أنا اللي قفلت. اتضايقت بس"
(بيتر): "خلاص مش هطوِل عليك.. ابقي تعالى... زرني بكرة بالليل"
(جمال) متفاجأ: "نعم!؟"
(بيتر): "بقولك مستنيك بكرة الصبح.. انت مش بتسمع يا (جمال) ولا إيه!؟ يلا سلام!"
(جمال) وهو متأكد مما سمعه: "سلام!"
رن جرس الهاتف مرة أخري...
(جمال): "(بيتر).. عاوز إيه تاني؟؟"
ـ "ج......م... ا..... ل........تشويش"
(جمال): "مين معايا؟؟"
ـ "زرني.... أمك محتاجالك"
ارتعد (جمال) فزعًا! أيّة حيلة هذه التي تحدث في التليفون!!؟

لم يقصّ لأحد ما يحدث له، والذي زاد حدته في الآونة الأخيرة.
ما جعله يقفز ليتعلق بمروحة السقيفة، هو صوت الهمد المتكرر في الحجرة المجاورة، والفحيح الناتج عنه. والصوت يعلو... ويعلو...
إذن (كريم) على حق؛ هناك شخص في الحجرة المجاورة!!
ماذا يفعل!؟؟

*****

ارتعدت (هناء) وقد احمرت عيناها من الرعب: "(توفيق)! كفاية! انت بتقول القصة دي حقيقية إزاي!؟"
وسط صمت رهيب لـ(علاء) و(دعاء)، ينظران لبعضيهما، والثانية تمسك بيد الأول لا تعلم السبب هل خوف أم حب أم الاثنين معًا.
هناء: "مش بترد ليه يا (توفيق)!؟ ثم انت واخدنا فين!؟؟"
تذكر (علاء)، وكاد أن يخرج الشيء من تحت طيات الچاكيت، ولكن شغله المكان الغريب الذي أخذهم (توفيق) فيه، يشبه مناطق جبل المقطم، تملأه شبورة كثيفة، وكأنهم يصعدون للسماء!
هدأت السيارة من سرعتها، ثم أكمل (توفيق) بعينيه اللتان تشبهان عيني القطة: "اهدي يا بنتي لسه موصلناش.. ده الطريق. أكمِّل؟؟"

(علاء) وقد أصابه التوتر: "انت رايح فين يا توفيق؟؟"
(توفيق): "هتعمل زي (هناء) يا (علاء)!؟ قرّبنا ومش هتندموا. هاااا؟؟"
(هناء) لا تلقي بالًا بالمكان؛ فهي تثق في (توفيق)، لذا فضلت أن توقف من حدة التوتر قائلة: "كمل يا (توفيق) القصة. انت وتَّرتنا. أنا أصلًا مش مصدقة إنها حقيقة.. بس كمِّل عاوزين نعرف بقيتها!"
(توفيق) وهو يسرع بالسيارة وقد أصابه الإحباط: "أكمِّل يا جدعان؟؟"
الجميع: "كمِّل"
ابتسم (توفيق).. ابتسامة أمل.
****

يقولون:
"لا تقترب من الشبح؛ لأنه إذا اندمج معك سيدخل بك إلى أعتى المتاهات جنونًا، مرسومة كتعرجات مخك، ولن تستطيع أن تخرج منها إلا بدفع ضريبة قد تصيبك بالجنون، وحينها لن تستطيع التفرقة بين الواقع والخيال"
****

رُوِيَ:
"أنَه في ذات مرة كانت هناك فتاة لها أخ توفي في حادث حريق، يقال أنه دفع بشقيقته خارجًا لينقذها، لكن لم

يستطع إنقاذ نفسه. التهمته النيران بعد إنقاذها بلا رحمة. هذا بعد احتراق الجميع بالمنزل بالطبع. الفتاه هي الناجية الوحيدة.
عندما ذهبت الفتاة عند عمها لتقيم بمنزله، تجسّد لها أخوها كل يوم، مشيراَ لها لتحتضنه.
عندما احتضنته، اندمجت معه. ونظراَ لعدم ثبات الشبح ذهنياَ، اختلط الفكران، مسبباَ ضموراً في عقلها.
لم تعد تراه مرة أخري. انهارت نفسياَ. وكالمدمنين لابد أن تراه. تفتقده. تألقت أمامها الفكرة (لكي ترى شقيقها لابد أن تحرق المنزل؛ ليأتي لإنقاذها مرة أخرى).
وبالفعل أحرقت المنزل ليتساوى بالأرض، واحترق الجميع!
لم يبق غيرها، لتحكي مبرراتها الواهية.
وتعطي العبرة للعقلاء.
"احذروا الاندماج مع الأشباح حتى لو كانوا أحب الناس إليكم! احذروا التلامس! قد لا تعود مثل ما كنت! ستصاب أجزاء من دماغك بالضمور، وسيختلط الواقع بالخيال."
ولكن ماذا لو أصر الشبح على الاندماج والتلامس معك رغما عنك؟؟

****

اقترب (جمال) من حجرة والدته، وكلما يقترب يستمع لصوت الهمد.
رأى مشهدًا غريبًا!
والدته تقف في مواجهة الحائط، على يمينها النافذة المطلة على المسقط، تدفع برأسها بقوة لتطرق على الحائط. يصدر منها فحيح يبعث على الاشمئزاز. رأسها أحمر كالدم، كلما دفعت برأسها تنفجر بثرة في وجهها القبيح.
ماذا حدث لوجه والدته الجميلة!!؟ أين ذهب!؟
وكأنها أحسّت بوجود (جمال) وراءها..
دفعت برأسها ليلتصق بالحائط.. أدارت رأسها ببطء شديد ناحية اليسار ليظهر فكّها بلا شفاه، لا تدري هل تبتسم أم تبكي.
تجمدت الدماء في عروق المسكين، منظر لا يُحتمل! إنها والدته!!
أحس بشوق رهيب، ليقترب رغم فزعه الرهيب. وسوست له نفسه أنه لربما استيقظت والدته من الموت كمعجزة ما.
(جمال): "ماماااااااا"
واقترب منها...
لم تعط والدته فرصة انتظارها لاحتضان ولدها، بل انقضت عليه لتسيل قطرات الدم على وجهه القبيح.
(جمال): "مااامااااااا!! ليه بتعملي كده!!؟"

أحكمت والدته قبضتها عليه، وأمسكت به، تفوح منها رائحة الموت والعطن.

أدرك (جمال) أنها نهايته. لقد تجسد كابوسه إلى حقيقة هذه المرة! حاول أن ينظر للنافذة المفتوحة نصف فتحة، ليشاهد شخص يقف في ذهول يرتعد خوفًا من المشهد. إذا اقتربت منه قليلًا سترى بركة البول التي أحاطت به من الفزع. متسمر مكانه. إنه (كريم)، يرتعد من هول المشهد.

عندها احتبس الكلام في فم (جمال)، وترك المجال لتمارس والدته طقوس الرعب، انعدمت لديه الثقة، بل استحالة أن تكون هذه والدته!

عندها تحسست والدته وجهه بحنان بتعرجاته وبثوره، وكأن هذه البثور تُمَتَصْ وتنتقل لجسدها، وتزداد التعرجات في جسدها النحيل.

ابتعدت واقفة للوراء، تاركة المسكين مستسلمًا لقدره، مغمضًا عينيه، ينتظر الموت.

ـ "تعالى النهاردة لو عاوز يبقى شكلك حلو"

(جمال): "إيه!!؟"

وفتح عينيه!

صمتٌ. الحجرة خالية!

***

لم يدرْ (جمال) بنفسه إلا وهو في الشارع. لقد انطلق هارباً من الشقّة. قرر أن يذهب لوالدته. لابد أن يُنفّذ الأمر الآن، وإلا لن يستطيع أن يسيطر على سيل الكوابيس، والتي عانقت الواقع لتختلط به!

لابد أن يتوقف هذا الرعب!

تكررت في ذهنه عبارة (تعالى النهاردة لو عاوز يبقى شكلك حلو)

ما معنى هذا؟؟ لقد خُيّل له أمر ما، ولكن ليتأكد من صحته كان لابد أن يذهب لأكثر الاختراعات أو الاكتشافات كرهًا على صدره.

إنها المرآة! في مدخل العمارة.

وشهق شهقة فزع!

ماذا!!؟ لقد اختفت بعض البثور، وزالت تعرجات من وجهه أيضًا.

حينها أحسّ بأن زيارة والدته شر لابد منه. لماذا شر!؟ بل خير. وزال إحساس الفزع، وتبدّل بالطمأنينة.

وابتسم.. ابتسامة أمل.

(3)
،، قرارات دموية ،،

(علاء): "يعني مامته لما ماتت اكتشفت حل في العالم الآخر عشان تداويه!؟"

(توفيق) بأسي: "قرّبت، بس مش صحيح!"

(دعاء): أومال إيه!؟؟"

(توفيق): "إحنا وصلنا على فكرة"

دلفت السيارة إلى مكان مظلم، مليء بالضباب، تتراقص خيوط ضوء كشاف السيارة فيه بتناغم وبانتظام، مختلطًا باللون الأصفر الخاص بانتظار السيارة.

تظن أن الأشعة الضوئية قد أسَرت مخروطًا من الضباب ليدور دورات محورية ولا يخرج عن نطاقها.

تظن من بعيد أن السيارة كسفينة الفضاء التي هبطت داخل المجهول.

(هناء) تنظر إلى الساعة ويخرج من فمها بخار عندما تتحدث: "إيه ده كله!؟ دي الساعة واحدة ونص!!؟

(توفيق): "بس مش هتندموا"

تلفت (علاء) باحثًا عن علامة مميزة للمكان: "إحنا فين يا (توفيق)؟؟"

(توفيق) في غموض ونرجسية مريبة مغلقا محرك السيارة ليظلم المكان ويزيد الأمر رعبًا: "استنوا بس لما عينيكم تتأقلم عشان الشبورة. بس صدقوني هتعجبكم المفاجأة أدينا قاعدين. أكمّل باقي القصة!؟"

(هناء) في حماس: "طبعًا كمِّل مع إنك غامض النهاردة شوية!"

التفت (توفيق) لـ(هناء) مغمضًا عينيه، ثم فتحها في حركة رومانسية وابتسامة ساحرة تظهر تحت ضوء صالون السيارة: "صدقيني هتعجبك المفاجأة. المهم، موبايلاتكم مشحونة!؟"

(هناء): "أنا فصل"

(دعاء): "قرّب يفصل. قدامه نُصّاية"

(علاء): "شغال يا عم وشاحنه بـ(الباور بانك) لما كنا قاعدين"

(توفيق): "أنا موبايلي فصل برضه. خلاص نبقى نتصور بموبايل (علاء)" خلاص أكمّل بأة القصة دي عشان نشوف المفاجأة"

استمع الجميع.. في انتظار انقشاع الضباب.

******

شارع (الرشّاح) كما يطلقون عليه. رائحة قذرة.. مليء بالمطبات.. رغم ذلك (جمال) لا يعير لها انتباهًا. يقود بحماس.. لقد علمه (بيتر) قواعد القيادة، لكنه الآن تناسى تلك القواعد مسرعًا للمقابر.

الشارع مظلم مليء بالضباب، الذي يتراقص داخل خيط ضوء كشاف السيارة.

ومن المجهول ظهرت تلك السيدة، تبدو كعابرة سبيل. كاد أن يصدمها، وفي آخر لحظة ضغط بكل ما أوتي من قوة على المكابح.
تنفس الصعداء. لم يصطدم بها، ولكن وُسوِس له أن تكون السيدة فاقدة الوعي الآن من الفَزْعة.
خرج مستندًا على السيارة، يتحامل على نفسه. يخرج البخار من أنفاسه السريعة. يبحث عن السيدة. لا أحد!!
يبدو أنه يسير الآن على حافة الجنون. التفت عائدًا إلى السيارة، ليشاهد السيدة وراؤه!!
تسمر (جمال).
السيدة: "إيه يا (جمال) مش تاخد بالك؟"
(جمال): "انتي عرفتي اسمي إزاي!؟"
السيدة: "سوق بالراحة يا ابني بعد كده. وقابلني عند القبر اللي قدام قبر والدتك". وأشارت نحو المدخل.
التفت (جمال) بدوره نحو وجهته، محاولًا استوضاح الرؤية: "ماشي.. بس انتي مين!؟"
السيدة: ....
لقد اختفت السيدة!!
التفت (جمال) عائدًا للسيارة يتلفت في رعب. أين ذهبت!!؟؟

****

يقولون:
" من السيء أن تزور المقابر ليلًا؛ لأنك قد تراهم يتجولون ليلًا. إنهم أشباح المقابر أو حراسها"

****

دلف (جمال) إلى المكان حيث يرقد والداه.
(جمال): "ماماااا.. باباااا.. عملت بنصيحتك يا ماما وجيت"
وانتظر ردًا باستثناء نقيق الضفادع ونباح الكلاب ومواء القطط، وتتجلى أصوات الخلفية الموسيقية في عرير الصرصور القبيح، الذي يقبع بالقرب منه، ويقوم بتحريك الشعيرات الموجودة على قرونه الشرجية.
تذكر كلام سيدة المقابر التي كاد أن يصدمها: "القبر اللي قدام قبر والدتك"
التفت نحو القبر، رأى قبرًا مميز اللون، يبدو أنه بُنِي خصيصًا لهدف ما. يبدو كالمقام؛ يتوسطه مستطيل رخامي حُفر عليه (حامي القرية بأمر الله - الشيخ رسلان عبد الظَاهر)، له باب خشبي مغلق بـ ٣ أقفال، ظهر له بعد أن أزال أوراق الشجر الموضوعة أمامه.
ـ "قولي يا (جمال).. نفسك يبقى شكلك حلو؟؟"

انتفض (جمال) لمصدر الصوت الغريب لسيدة.
يتلفت حوله.
(جمال): "إنتي مين!؟؟"
ـ "أنا اللي هحققلك حلمك. حارسة القبور بتنفذ أوامري. ماردتيشي على سؤالي!؟
(جمال) مبتلعًا ريقه، يهتز من الرعب: "آه.. ننن نفسي".
لا يدري هل الجو باردا بالفعل أم لا. لابد من وجود سبب لارتجافه العنيف!
فجأة سقط أحد الأقفال الثلاثة!
ارتفع الصوت مرة أخرى:
"إيه مدى ولاءك لتحقيق هدفك؟؟"
(جمال): "يعني إ... إي... هـ...!؟؟ مش فاهم!"
ـ "تعمل أي حاجة.. أيييي حاجة عشان تحقق حلمك؟؟"
أحس (جمال) بأن هدفه قريب. بسرعة جرت في مخيلته صورته وهو في أشد حالات الوسامة، يتراقص الجميع احتفالًا بجماله، وكأنه في حفلة من حفلات [ملك الجمال] التي تجري في الدول الأجنبية. خياله جامح!
على الفور ردّ متحمسًا: "أعمل أي حاجة.. بس زي إيه؟؟"
ـ "متستعجلشي"
وانطلقت ضحكة خافتة من ورائه، التفت نحو مصدرها... لا يوجد أحد!! ارتعد أكثر.

فكر في الهروب ولكن... الحلم! الجمال! تراجع عن الفكرة.
صوت القفل الثاني وهو يسقط!
صوت تمتمة غريب.
يهتز المكان كله من حوله، ويتوهج بنور سرعان ما يختفي، وصراخ مؤلم.
لمح فور ظهور الضوء أن هناك كتابات على جدران القبر وبابه.
وانفلق القفل الثالث!
ـ "ادخل يا (جمال) القبر، وهات الجمال المدفون"
وارتفع صوتها في عنف شديد:
"افصل الأوصال... ليتحرر الجمال"
"أحرِق الأوصال... ليتحرر الجمال"
(جمال) مرتعدًا وأحس أنه لا مفر:
"أوصال مين!؟"
الصوت: "الشيخ (رسلاااااااان)" قالتها بكل غل يمكن أن تتخيله في حياتك.
على الفور لم ينتظر ردًا منها ولا سؤال. ودلف (جمال) إلى القبر هابطًا درجات السلم، ليتحسس جثة تتوسط الضريح مكفنة.

أتى الضوء الخافت مرة أخرى، فرأى الجثة واضحة أمامه، وفي الجدران مرسوم كلمات.

وسرعان ما ذهب الضوء.

بدأ (جمال) في تخيل المكان. يتحسس أطراف الجثة وصولا إلى رأسها.

ما هذا!!؟

أهذا قناع!؟؟

الجثة متيبسة متحجرة، استحالت لهيكل عظمي، مخيف كلما تراقص الضوء الخافت داخل المقبرة. ازداد الموقف رعباَ.

(جمال) يتساءل: "أهذا القناع هو خلاصي نحو الجمال!؟؟"

حاول أن يحرره من الجثة، ولكن مستحيل. يبدو أنه ملتصق بوجه الجثة. حاول مرة أخري.. لا فائدة!

أي سحر هذا!!؟

ـ "قلتُ لك افصل الأوصال!" قالتها صاحبة الصوت في لهجة آمرة، غاضبة غضب عات.

(جمال): "حاضر"

بدأ (جمال) في فك الكفن، فبدأت تنبعث رائحة كريهة جدًا. يبدو أن من قام بلف الكفن كان ساحراَ ليخفي الرائحة. إن هذا لا يمت بالمنطق بأي صلة.

رائحة كريهة بحق، نفذت لأنف (جمالٍ)، لتضغط على الحجاب الحاجز داخله، لينتفض مهيجًا معدته ليفرغ ما تحويها من طعام وسوائل وعصارات، لتصبح كالإربة الجافة. لقد تقيأ كل ما بداخلها!

الصوت: "افصل الأوصاااال!"

توتر (جمال). في هذا الجو لا يحتمل توتر أكثر من ذلك.

فتحسس الذراعين، وبكل ما أوتي من قوة عالجهما لينفصلا بصوت يشبه صوت القرمشة.

وكذلك باقي أطراف جسده انتزعها، ليتبق رأسه ومنطقة الصدر والبطن.

ازدادت الرائحة عفنًا، وعطنًا.

هنا ظهر من المجهول يرقات وديدان لم تكن موجودة، بدأت في التوغل في كل ثغرة بالجثة. لم تكن هذه الزواحف موجودة من قبل. كيف أتت!!؟؟

يتمالك (جمال) نفسه، ممسكًا ببطنه الفارغة، غير المستقرة؛ منعًا للتقيؤ مرة أخري. هذه المرة سيتقيأ عصاراتها.

أدرك أن ما يحدث في المقبرة من تغيرات سببها تغلغل نفوذ صاحبة الصوت داخل المقبرة، والذي يزداد قوة.

ـ "أحرق الأوصال!"

(جمال): "كيف!؟؟ لا أملك نارًا!"

وقبل أن يكمل حديثه، لاحظ من الخارج أن سبب الضوء الخافت هو احتراق أوراق الشجر المتراصة على أبواب المقابر، فأمسك بأحد الأفرع عائدًا إلى الداخل، وأحرق الأوصال الأربعة.

هذه المرة حاول أن يمسك بالقناع، فأحس بخلخلة بسيطة، فأحكم مسكته بالقناع، وشدّه بقوة، لتنفصل الرأس، ثم تقع على الأرض متدحرجة، لتتوقف في وضع كأنها تنظر إليه وتلومه على فعلته.

لم يبق في يدي (جمال) غير القناع.

لم يتمالك أعصابه أكثر من ذلك، فأسرع كالمخابيل يصعد درجات سلم المقبرة، محكمًا قبضته على القناع.

لا حياة لمن تنادي.. لا حي ولا ميت!!

النار اختفت والصوت اختفى.

لم يبق غير الفرار إلى السيارة.

***

اهتزت السيارة بعنف عقب إغلاق بابها بقوة.

أدار (جمال) محرك السيارة، عائدًا إلى طريق (الرشاح) وجهته إلى المنزل.

لم يتخيل ما حدث له. كانت الساعة قد قاربت الثانية صباحًا. صعد قافزًا درجات السلالم، متخطيًا باب الشقة

مغلقًا إياه وراءه، يرتعد من الخوف، ممسكًا بـالقناع مسكة لاإرادية؛ فكيف يترك خلاصه!؟

طُبِع على ذكراه مشهد الرأس وهي تتدحرج وتنظر إليه في عتاب وملامة، وحرق الأوصال بعد خلعها.

وهذا القناع الغريب.

حاول (جمال) تجميع شتات أفكاره المبعثرة.

ونظر للقناع...

كان يشبه قناع الحفلات التنكرية لسيدة، وقد اختفى ثلثه إلا الهالتين السوداوتين حول منطقتي العينين، رصاصي اللون، تلونت شفتاه باللون الأسود، يحتوي على خيوط ذهبية في أنحاء الوجه، يخرج من جانبيه حبلين لربطهما أثناء ارتدائه خلف الرأس.

لم يتذكر (جمال) التصاق القناع برأس الجثة بسبب الحبلين؛ الالتصاق كان سببه سحري. كان التصاقًا محكمًا، تحرر بعد حرق أوصال الجثة.

وليكن...

إن كان هذا ثمن الجمال، فلا مانع لحرق جثة ميتة بالفعل.

أي سخف هذا!؟ أحرق أوصال جثة لأحرر قناع مريب الشكل يبعث بداخلك القشعريرة كلما نظرت إليه.

وليكن.....

قرر (جمال) أن يرتدي القناع.

قربه من وجهه، يحاول أن يتناسى صورة الرأسِ والرائحة العطنة التي بها، ليلتصق بوجهه محدثًا توهجًا بالخيوط الذهبية.

***

خلع (جمال) القناع بسرعة.

نظر إلي ه بدهشة. لقد سرت بداخله رغبة دفينة شجّعها هذا القناع، وكأن الشيطان وسوس له.

أرِق الدماء لتتغذى بشرتك؛ فجمالك مدفون!

*****

أحكم (علاء) قبضته على يد (دعاء) من الانفعال، وباليد الأخرى يرتعد وهو يتحسس الشيء المخفي تحت طيات الچاكيت.

تعجبت (دعاء) من رد الفعل.

لم يخطر ببالها أو تتخيل في حياتها هذه الصدفة الغريبة التي حدثت اليوم، والتي أدركها (علاء)؛ بأن (ضياء) عثر على شيء يخص (توفيق) بدون علمه ووضعه بحقيبته.

وعندما صارح (علاء) عَنّفَه وأصر على إرجاعه لـ(توفيق)، ولكن لم تسنح له الفرصة لإرجاعه.

تحسس (علاء) الشيء بيده. إنه قناع رصاصي اللون، اختفى ثلثه، يحتوي على بروزات خُيِّل له أن لونها ذهبي. يشبه قناع الحفلات التنكرية، شفاهه سوداء!!
تذكر على عجالة معرفته بـ(توفيق) منذ ثلاثة سنوات. طيب القلب، لا يحمل أي شر أو ضغينة، إعجابه ببنت عمه، رأيه بأنه عريس لا يعوّض؛ مال وجمال.
جمال!؟؟
يا إلهي! (توفيق) هو: (جمال)!!

***

(توفيق) يسرد القصة بترتيب محكم؛ لم ينس أي تفصيلة، يحكي باستمتاع... رهيب!

******

استيقظ (جمال) صباح اليوم التالي على صوت التليفون، يكاد لا يصدق ما حدث بالأمس. إلا أنه نظر للقناع الموضوع على التسريحة، ليؤكد من صحة الواقعة.
التقط السماعة: "ألووو"
(بيتر): "انت فين يابني!؟ كده هنتأخر على المعلم!"
(جمال): "اهدى يا (بيتر).. أنا جايلك أهو. يلا سلام"

ارتدى (جمال) ملابسه على الفور، تاركًا القناع داخل الدولاب، وأغلق عليه بالمفتاح.
وبعدها قابل (بيتر)، الذي تعجب من زوال بعض التجاعيد والتعرجات والبثور، والتي دائمًا ما يتميز بها (جمال)"
(بيتر): "(جمال) انت كويس!؟ فرحان إنك زرت مامتك!؟"
(جمال) مبتسمًا: "طبعًا.. سوق انت!"
وأثناء توجههم لعم (علي)...
(بيتر): "متخبيش عليا.. وشك ماله!؟"
(جمال) متعصبًا: "هو عشان ابتدى يخف تقوم تسألني وشك ماله!؟"
(بيتر): "اهدا يا صاحبي.. ألف مبروك.. أنا قصدي إزاي!؟"
(جمال): "كنت رحت لدكتور كتبلي كريم غالي بس كويس.. بدأ يخففني أهو"
(بيتر): "(جمال).. انت عمرك ما كدبت عليا.. ليه بتعمل كده!؟"
(جمال): "قصدك إيه!؟"
كانت السابعة صباحًا.
أوقف (بيتر) السيارة، وقال: "(كريم) كلمني إمبارح وكانت حالته صعبة أوي.. أول مرة أشوف الواد ده بالحالة دي. حكالي اللي حصلّك إمبارح. تصدق قالي إنه عملها على نفسه!! ممكن تحكيلي بصراحة؟"

(جمال) بهدوء: "خفت أحكيلك متصدقشي. إمبارح عفريت ماما جه وزارني.. و...

لم يدر (بيتر) ماذا حدث للسيارة، التي دارت فجأة، وإذا بها تنطلق بسرعة الصاروخ إلى الترعة لتغوص فيها.

أما (جمال)، فقد سحبه شيء ما ليسقط على الأرض متدحرجًا، وهو يشاهد صديقه وهو يغوص في قاع الترعة.

لقد توفي (بيتر) غرقًا. بالطبع الخطأ خطأ (بيتر) لقد كان هو قائد السيارة.

لم يعلم أحد سبب الحادث إلا (جمال)، الذي استدرك التحذير الصادر إليه؛ بأن يبقي ما حدث له في المقابر سرا، ولا يدري لماذا!

وسقط مغشيا عليه من هول الصدمة التي باغتته!

***

استيقظ (جمال) في المشفى، حوله زملاؤه في العمل، يبكون بحرقة على فراق (بيتر)، ويحمدون الله على سلامة (جمال)، الذي سقط من السيارة أثناء اندفاعها؛ لضعف باب السيارة، انفتح وتدحرج (جمال) خارجها.

(جمال): "(بيتر) فين!؟؟"

لا إجابة!!

(جمال): "(بيتر) فيييييين!؟"

أتاه صوت ما وراء الحشد: "انت السبب!!"
فإذا به (بيتر)، وجهه شديد البياض، اختفت الدماء من جسده، وقد ابتلت ملابسه، يخرج الماء من جميع المناطق، ويشير إليه: "انت السبب! مكنتش تتكلم! كان زماني عايش!"
وسقط (جمال) مغشيًا عليه مرة أخري!

*****

(علاء) يتساءل:
"لماذا يحكي لنا قصته؟؟
لماذا يحمل اسمًا مستعارًا!؟؟
لماذا لم يقتلنا بعد هذا الكيان الغامض الذي أتاه في المقابر!؟؟
تتواتر الأفكار والتساؤلات في رأس (علاء)، عندما توصل لإجابة مقنعة:
"لم يكن لـ(جمال) أي نية لقتل (بيتر)، لهذا قتله هذا الكيان كنوع من التحذير. وبما أنه لم يقتلنا الآن، إذن (جمال/توفيق) له نية لقتلنا!!

يا إلهي ماذا أفعل؟؟
ونظر لـ(توفيق) الذي يستمتع برواية القصة.

*****

مرت شهور عدة، وقرر (جمال) وضع الخطة لقتل (ماسيمو) و(كريم).

ارتدى القناع ليخفي ملامح وجهه، وأحضر طلاء الأحذية ليدهن وجهه من ناحية الثلث المفقود؛ ليخفي ملامح وجهه كاملة.

انتظر خروج (كريم) من المنزل.

وطرق الباب بشدة.

(ماسيمو): "مين اللي بيخبط!؟ أونو سيكوندو.. جاي أهو"

طرق الباب أقوى!

(ماسيمو): "مش قلتلك جاي أهو!؟ ميردا! (اللعنة)"

فتح الجد الباب... لا أحد!

بسرعة عاد (جمال) مرة أخرى لشقته، وقفز من النافذة الداخلية للمسقط، فدلف إلى البار، ووضع سمًّا في الزجاجة المفتوحة.

وانتظر ليشاهد ماذا سيحدث.

كان السم فتّاكًا، فتك بمعدته وأمعاءه أشد فتكًا. ولكن ما لفت نظر (جمال) هو محاولة الجد البائسة للذهاب نحو الدولاب ليفتح أحد دُلفُه بـمفتاح في جيبه، والذي سقط منه بسقوطه قتيلًا.

هم (جمال) بالتقاط المفتاح، وفَتَحَ الدَلْفة، ليشاهد مبالغ مالية لا حصر لها! إنها ثروة طائلة كان يخفيها العجوز بمهارة، رغم ضمور ما تبقى من عقله بسبب الكحول.

حمل جسده البالي، ووضعه على السرير ممسكًا إياه بكأس به بضع القطرات الكحولية.

وحضر (كريم)...

يشاهده (جمال) مختبئًا..

شاهد (كريم) وهو يسير على أطراف أنامله، عندما رأى جده نائمًا؛ ليحظى بفرصته في شرب الكأس. فتناول كأَسًا كبيرًا من ذات الزجاجة المميتة، ففتك به السُمْ هو الآخر. أخذ يتلوى كالدجاجة المذبوحة. ظهر له (جمال) مرتديًا القناع. لربما ظَنّ (كريم) أنه ملاك الموت جاء ليقبض روحه، فجحظت عيناه فزعًا، ولفظ أنفاسه الأخيرة.

كان مشهدًا يبعث الا رتياح في نَفْس (جمال). يتذكر وعيده للشلة (ليكم يوم).

وبعد أن سكن جسد (كريم) كجثة هامدة، تخرج الرغوة من فمه، ممسكًا بالكأس نصفه مكسور.

قام بوضع علبة السم في جيب الروب الخاص بالجد، ووضع بعضًا من قطرات السم على يده.

وانتشل المبالغ في حقيبة بلاستيكية.

وأغلق النافذة من الداخل، وخرج من الباب في صمت. وبحرص عاد لشقته ليطالع وجهه في المرآة، وكأن القناع ينتظر هذه اللحظة. توهجت خيوطه الذهبية. أحس (جمال) بالنشوة.

خلع القناع ليشاهد وجهه الذي بدأ في التألق تدريجياَ بعدما أزال طلاء الأحذية من ثلث وجهه.

***

بالطبع لم تكن هناك آثار عنف في الشقة...

أخذ (جمال) يطرق الباب بشدة؛ لجذب انتباه الجيران، ولدرء التهمة عنه إذا ساورتهم الشكوك من حوله.

وينادي: "(كريييم).. عم (ماسيمو)!!"

وأخيرا قرر الجيران كسرِ باب الشقة، ليشاهدوا المنظر المحزن للضحيتين، وقد سلبت منهما روحيهما، وظهرت بثور وتجاعيد على وجهيهماَ.

صاح (جمال) من الدهشة والرعب: "(كريييم)!! جدووو!!"

وابتسم في قرارة نفسه.

وسَجلت القضية بانتحار الجد لوحدته وبؤسه وغياب وعيه طوال الوقت، لم يكن مدرك ماذا يفعل نتيجة الاكتئاب الحاد.

وذلك أدى إلى الموت الخطأ للحفيد نتيجة تجرّعه من ذات الزجاجة.

***

بعدها بشهور، كان (نجيب) و(عباس) يتسكعان مع فتاتين من أهل الحي..
في شارع مظلم، يضحكان، ويلهوان، يتخذان خلو المكان فرصة لتحسس أجسادهما المتورّمة.
وقام الفتيان بتوديعهما بقبلتين حارتين لزوم قلة الأدب.
تبعهما خيال قاتم، يرتدي قناع رصاصي اللون ثلثه مختفي، يحمل سائل حمض النيتريك المركز في حقنتيْن كبيرتين.
كانا يتحدثان عن نيتهما في هتك عِرض الصديقتين العاهرتين.
ومن ورائهما وفي سرعة خاطفة.
(جمال): "(نجيب).. (عباس).."
التفت الصبيان لمصدر الصوت. لم يكادا يتبينا صاحب الصوت، إلا وقابل وجه كلا منهما برشة من السائل.
صرخ الاثنان وقد فقدا حاسة الإبصار، الأمر الذي جعلهما فريستين سهلتين، كالطائرين الجريحين سهل الانقضاض عليهما. وبالفعل فتك بهما (جمال) بسكينة سنها متعرج،

مسنونة يلمع نصلها كلما انهال عليهما، مقطِّعا جسديهما بوحشية.

تتناثر الدماء من حوله، تتطاير قطع لحم صغيرة، وهو يصرخ بهيستريا:

"لمِّوا كرامتكم زي ما بعترتوها! صحّوا أمي زي ما موَتوها!"

ويكرر الجملة..

وينهال بوحشية أكثر..

وسرعان ما أفاق من حالة الهياج المخيفة، وأطلق ساقيه للريح عائدًا إلى شقته.

نظر للمرآة، وتأمل التوهج الذهبي، وخلع القناع؛ لترتسم على وجهه ابتسامة انتصار.

لقد انتقم من الشلة القذرة، التي طالما استغلته وبعثرت كرامته، وكانت سببَا لموت والدته بالحسرة.

***

المشكلة هنا أن القناع لم يكتفِ بهذا القدر.

وتحول الأمر إلى مرض شهواني.

قرر (جمال) بألا يثير الشكوك من حوله، فذهب لتوديع عم (علي) الذي طالما أحبه، ولم يفكر قط بإلحاق الضرر به هو و(بيتر)، الذي قُتل بدون ذنب.

كان عم (علي) فِي الآونة الأخيرة قد أصيب بالالتهاب الرئوي. كان كثيرا ما يتنقل من علبة السجائر إلى النارجيلة، ومن النارجيلة إلى علبة السجائر، إلى أن مَسَّه الضَرّ في رئتيِه. وهو الآن بين أيادي الرحمن، ينتظر قدره المحتوم، داعيا الله بالمغفرة.

وعند زيارة (جمال) له، صمم على إعطائه مبلغًا ليس بقليل من المال، كمكافأة نهاية الخدمة.

وحزن أيضا على قرار (جمال) بالانتقال، وأحس من داخله بأنه يعد شيئًا من الأنانية، ولكن في الحقيقة يضاف عليها بند الهروب؛ حتى لا تُثار حوله الشبهات؛ لأنه أصبح شهواني للقتل.

وغادر (جمال) بلدته الصغيرة، وبدأ في التنقل من بلد لأخرى، يقتل ويسرق بحذر شديد، يساعده الكيان الغامض في مسح آثاره. إلى أن اختفي، وما قيل عنه أنه أصبح لديه جمال ملائكي، جعله يحافظ على شبابه على مدار السنين.

ويِقال أنه توفي في حادث قطار منذ عشر سنوات.

هكذا سمعت.

******

ارتفعت أنفاس (علاء)، مكونة بخار كثيف داخل السيارة.

عقد (توفيق) حاجبيه قائلًا: "القصة وتَّرتك يا (علاء) ولا إيه!؟"

دعاء: "مش عارفة.. هو متوتر من شوية كده مالك يا (علاء)؟؟"

(هناء) بفخر: "دي قصة تحفة؛ كونها أثّرت على حد مننا كده. وكمان إيه! دي أثَّرت على أكتر واحد كان بيتّريَق عليك"

(توفيق) باحثًا عن شيء أسفل كرسي القيادة قائلًا: "عشان كده اتوصيت في القصة أوي وحكيتها بالتفاصيل. جاهزين للمفاجأة؟؟"

تهللت أسارير (هناء)، متوقعةً مفاجأةً فريدةً من نوعها.

فجأة تحولت ملامح (توفيق) إلى الضيق، وهو يبحث أسفل الكرسي دون جدوى: "إيه ده هو فين!؟"

تعجبت (هناء): "بتدوّر على إيه!؟ أكيد المفاجأة"

وبسرعة خاطفة، فتح (علاء) باب السيارة، بعدما عانى في فتح قفله بدون أن يلاحظه (توفيق)، وأطلق لساقيه العنان!!

صرخت (دعاء): "(علاء)!! (توفيق)! هو (علاء) ماله اتجنن كده ليه!؟؟"

كشَّر (توفيق) بدون أن يلاحظه أحد، وقد تدارك شيئًا ما:
"أنا عارف ماله!؟ هروح أجيبه ومتفتحوش لحد حتى لو (علاء) نفسه. أنا حاسس إنه مش طبيعي بقاله شوية"
دب القلق في صدري (دعاء) و(هناء)، وبكيا؛ فهما الآن بلا رجل، وفي سيارة وسط المجهول وحيدتين.

***

ترك (توفيق) السيارة بعد إغلاقها، وانطلق بأقصى سرعة في اتجاه (علاء)، فمصيره بين يدي (علاء) الآن"
ولولا وجود القناع في يده، للفظوا جميعا أنفاسهم الأخيرة، وبذلك يكون تحرر من القناع، وتتوقف شهوة القتل بعد قتل الثلاثة!! على حد علمه!

***

(توفيق) بصوت عال وسط الضباب: "(علاااااء)! ارجع!"
يبحث عن (علاء) في كل مكان، مستغلًا فلاش الهاتف المحمول، بالطبع كان يكذب بخصوص شحن بطاريته!

***

أما (علاء)، فكان يجري بأقصى سرعة. يحاول أن يتذكر كيف أتى.. يحاول أن يبتعد ويحفظ طريقه.. ينوي أن

يحضر مساعدة من الطريق لينقذ الفتاتين. طالما القناع بحوزته فهما في الأمان، على حد ما فهمه.

ـ "(علاااااء)! بقولك ارجع!"

كان الصوت بعيدًا.

والطريق طويلًا.

ماذا يفعل لينقذ الفتاتين من براثن هذا القبيح!؟

عندها سمع صرخة قادمة من بعيد.

***

(دعاء) تصرخ من اهتزاز السيارة.

من يقوم بهزها!؟؟ (هناء) في صدمة غير متوقعة ما يحدث.

من عدة ساعات كانوا يستمعون لقصة مرعبة تسري القشعريرة داخلك عند الاستماع إليها.

ولكن ما شعورك عندما تعيش هذه القصة؟؟

(دعاء) تصرخ..

و(هناء) تحاول أن تجمع شتات أمرها..

والسيارة تهتز، وكلما ازداد الصراخ ازداد الاهتزاز، وكأن من يهز السيارة يستمتع بالصراخ.

***

(علاء) لا يدري ماذا يفعل. إنه فعلًا خائف، في موقف لا يُحسد عليه. نظر لشبكة المحمول.. لا بأس بها.
حاول الاتصال بهاتف (دعاء)، متذكرًا أنه قد اقترب من فراغ بطاريته.
رن.. هناك أمل!

***

(دعاء) تصرخ وعويلها يزداد، والسيارة تهتز واهتزازها يزداد.
لمحت (هناء) محمول (دعاء).. (علاء) يتصل بها!
ردت بأمل وهى تصرخ: "(علااااء)! انت سبتنا ليه يا (علاء)!؟ أنا مش فاهمة حاجة، و(توفيق) فين إيه اللي بيحصل!!؟"
(علاء) بقلق: "مالكم؟؟ في إيه!؟؟"
(هناء): "العربية بتتهز بينا.. مش عارفه إزاى"
(علاء): "ماتخافوش. أنا جايلكم تاني. بحاول أدوّر على حد يساعدنا. اسمعي كويس.. (توفيق) هو (جمال).. متثقوش فيه"
(هناء) لم تستمع إلا لصوت متقطع، مختلط بصراخ (دعاء) الهيستيري، والذي أصبح غير محتمل: "بتقول إيه مش سامعة"

(علاء) هو الآخر يحاول أن يستمع بلا جدوى.
يحاول توصيل المعلومة، ولكن هاتف (دعاء) حسم الأمر، وفرغت بطاريته.
هناء: "ألو.. ألو.. فصل!"
أحست (هناء) بفقدان الأمل، وشرعت في البكاء. تتلفت حولها.
السيارة تهتز! ما هذا الجنون!!؟ من يقوم بذلك!!؟
(دعاء) أصيبت بصدمة وغابت عن الوعي، وتوقف الاهتزاز.

***

(علاء): "ألو.. ألو.. يا ربي! فصل!"
يحاول مرة ثانية الاتصال، ولكن لا فائدة!
حاول الاتصال بالشرطة..
الشبكة انعدمت، وكأن هناك من يجثم على برج الشبكات المحيطة، ليوقف بثها في الهواء المحيط من حوله.
(علاء) يذرف الدمع، لا يدري ماذا يفعل بعد ذلك.
يرتجف من البرودة رغم ارتداء الچاكيت.
وقد وصل إلى حد الانهيار.
هنا ظهر (توفيق) من العدم، لينقض على (علاء)، الذي تلافى هذا الانقضاض بتلقائية.

(توفيق) بغيظ: "هات القناع!"
(علاء): "مستحيل أديهولك.. هتقتلنا بيه"
(توفيق): مين قال كده!؟ انتوا صحابي"
(علاء): "انت كدَّاب! قلي حكيت القصة كام مرة عشان تحفظها كده؟؟"
وكأن السؤال داعب نرجسيته، فرد عليه بابتسامة غير ملحوظة في هذا الظلام: "لناس كتيييييييير.. ده قبل ما أصفِّي آخر نقطة دم منهم وأشربها"
علاء: "يبقى يا أنا يا انت يا (جمال) الكلب!"
أخرج (علاء) القناع، وهذا هو مفره الوحيد.. أن يرتديه!
(توفيق) بفزع لا يدري سببه: "بتعمل إيه يا مجنون!!؟"
(علاء): "طالما القناع وسوسلك، يبقى هيوسوسلي باللي أعمله. هيديني القوة إني أقتلك"
(توفيق): "انت متعرفشي القناع ده ممكن يعمل إيه! أنا محكتشي بالتفصيل! متلبسي القناع يا مجنون!"
(علاء) وقد داس لـ(توفيق) على طرف: "هلبسه وزي ما تيجي. كده كده ميت! وعشان أضمن إنك مش هتعمل حاجة لخطيبتي وبنت عمي"
وتوهجت الخيوط الذهبية، وتجمد (علاء) مكانه ليحدث الاندماج.

كان هناك كيان مظلم يشاهد الموقف، ويبدو أنه كان ينتظر حدوث شيء ما.
هم (توفيق) بالهجوم على (علاء) ليوقف عملية الاندماج.
ولكن هذا الكيان أشار بيديه، ليتجمد (توفيق) محله.
التفت (توفيق) لمصدر القوة السحرية، وكأنه يعرفه قائلًا:
"متأخر أوي.. زي كل مرة يا شيخ (رفاعي). دايمًا كانت هي بتحذرني منك"
تمتم الشيخ (رفاعي) ولوح بيديه، ليسقط (توفيق) على الأرض، وقال: "ما أتمناش كده.. بس على الأقل هانتقم من اللي عملته في جثة الشيخ (رسلان)"
(توفيق): "وانت فاكرها هتسيبك!؟ هي هنا كانت مستنياك"
(رفاعي): "وانت فاكرها والدتك، هتطبطب عليك بعد ما تنفذ اللي هتعمله ليها، وهتقولك شكرًا!؟"
(توفيق): "أمي هي اللي طلبت مني أروحلها في الأول، يبقى ليه متطبطبشي عليا!؟"
(رفاعي): "ضحكتْ عليك يابني. انت متعرفشي هتعمل فينا إيه لما تاخد القناع بعد ما تنفذ طلبها. وانت عارف كويس هي عملت إيه"
(توفيق): "هتموتك كبداية، وبعدين هتعفيني من القتل تاني"

(رفاعي): "وأنا عمري ما هخليك تنفذ كل طلباتها. والحمد لله إن (علاء) أنقذ الموقف، وقدر ينقذ المجزرة اللي كانت هتحصل دلوقتي. وإداني فرصة إني ألحقك. قبل ما كنت بتهرب مني زي كل مرة"

(توفيق) بابتسامة ممزوجة بإحباط، باحثًا عن المذكورة زائغًا بعينيه: "مش هتسيبك"

(رفاعي): "بالنسبالي هي متعرفشي تؤذي دبانة دلوقتي، ومحدش بيساعدها غير ضعاف النفوس من عالم الإنس والجن والأشباح.. مساعدات بسيطة.. وهما مش قدي"

***

رغم أن الليلة قمرية، إلا أنه يتخللها ضباب كثيف، الرؤية تكاد تكون منعدمة.

قامت (هناء) بصفع (دعاء) لتوقظها من الإغماءة:

"(دعاء)! اصحي! فوقي!"

(دعاء) في غيبوية بسيطة: "إيه!!؟"

هناء: "اصحي الهز وقف، و(علاء) و(توفيق) لسة محدش رجع منهم"

(دعاء)، وقد عاد إليها وعيها، فصرخت!

(هناء) تكتم فمها: "بس يا (دعاء).. اهدي! الصويت ملوش لازمة". ثم أراحت يديها لتتركها تتحدث.

(دعاء) وقد تسارعت أنفاسها: "أنا حاسة إني هموت من الرعب يا (هناء).. هو إيه اللي بيحصل!؟ معقولة يكونوا بيهزروا!"
(هناء): "وهما لو بيهزروا كانوا هيسيبوكي يغمى عليكي!؟"
(دعاء) وقد تداركت المصيبة المميتة التي وقعوا فيها: "طب تفتكري إيه؟؟"
(هناء): "معرفشي.. (علاء) اتصل بيكي وكان بيقول حاجة بخصوص (توفيق).. بس الشبكة كانت وحشة، والخط قطع، وموبايلك فصل، وموبايلي أنا كمان فاصل"
واتت (دعاء) فكرة: "طب دوري كده في الدرج اللي قدامك على شاحن عربية، يمكن ينفع عندي أو عندك"
(هناء): يعني هنشحنه إزاي بذكائك!؟ (توفيق) أخد المفاتيح معاه!"
(دعاء) بإحباط: "آه صح.. عندك حق"
هناء: "طب نعمل إيه؟؟"
قبل أن يأتيها رد (دعاء)، والتي جحظت عيناها وهي تشير أمام السيارة، التي دارت بدون مفاتيح وأضيء كشافها العالي.
لتظهر أمام السيارة فتاة، وقد انقلبت عيناها للَّون الأبيض، حولها هالة من الهلام الأحمر.

وجهها يخرج منه الدود المقزّز، تبتسم ليخرج من فمها دماء سوداء اللون.
لم تحتمل الفتاتان المشهد، ولم يشعروا كم مر من الوقت عندما ارتفعت السيارة بهما لتسقط، ويغيبا عن الوعي تمامًا.

***

لم يدرِ كم مر من الوقت عند حدوث التلاحم الفكري بين (علاء) والقناع، مثلما حدث بالضبط مع (جمال/توفيق)، وكأن القناع يحرضه على القتل ليشبع شهوته من الجمال، ومما لا شك فيه (علاء) لا يكنّ ضغينة لأحد لا يملك سواد القلب مثل (جمال/توفيق)، الذي استمع للقناع بلا نقاش.
أما (علاء)، فرفض ما يمليه القناع من أوامر. لم يستمع لنفسه الأمّارة بالسوء.
أدرك في وقت قليل -وقت التلاحم- ما لم يتوقّع أن يدركه في حياته، غير مصدِّق أنه قد يُوضع في موقف كهذا.
بالتأكيد لم يتوقع أي شخص في الدنيا أن يعيش شيئا كهذا.
لم يتوقع هذه الحقائق الغريبة في هذا الوقت القصير.

*****

(4)
◂ ◂ داخل بوتقة الجحيم ◂ ◂

بمجرد حدوث التلاحم الغريب، توهجت الخيوط الذهبية، وأحس (علاء) بنشوة غريبة. إحساس قوي يعصف بجسده يهز كيانه.
أدرك أنه قتل نفسه!
لا لم يقتل نفسه!
ما هذا!؟
أهذه حفلة!؟
يقف وَسَط أناس في دولة أجنبية منذ زمن قديم، لا يرونه ولا يشعرون به.
شاهد تلك السيدة بالأعلى، التي دلفت ترتدي هذا القناع الغريب ذو الثلث المنعدم. أدرك أن هذا تصميمه ليبين ثلث الوجه، فرأى ثلث وجه السيدة القبيح.
بالطبع لم يُخْفِ القناع صاحبة الوجه. عرفها الجميع.
لماذا ترتدي تلك السيدة هذا القناع رغم علمها بأن ثلث وجهها يظهر!!؟؟ لماذا لم تبحث عن قناع كامل ليخفي كامل وجهها!!؟؟
أدرك (علاء) أنها صاحبة هذا الحفل. الحفل التنكري. بل صاحبة هذا المكان.
كان المكان واسع في منتهى الجمال، تعتليه نجفة كبيرة جدًا، بها جميع أشكال الشموع بمختلف أنواعها: القصير، الطويل، الرفيع.

انحنى الجميع احترامًا لتلك السيدة. رغم قُبحَها، إلا إنها حصلت على ا حترام مبَجّل من الجميع. يصفقون لها بينما تتحدث. ولكن فجأة، أغلقت الأبواب.
وسقطت النجفة لتحيل المكان كله إلى جحيم.
يتلوى الجميع من النيران، يحاولون الفرار ولكن بلا فائدة.
خلعت القبيحة القناع، تشاهد احتراق الجميع حتى خدمها بالنار. إذا لامستها النيران تنطفئ. تبتسم من نجاح خطتها.
قامت بإلقاء القناع وسط البهو الواسع، ليدلف داخل النيران. ولكن القناع هو الآخر لم يحترق، بل ارتفع في الهواء، ينبعث من كل جثة محترقة خيط من الدماء الحمراء، تدخل القناع وتندمج به. وكلما اندمجت توهجت خيوطه الذهبية. تجمعت الدماء حول القناع، لتستحيل رؤيته، لتتشكل على شكل فتاة جاءت من المجهول.
على الفور ركعت السيدة القبيحة أمامها.
وكعرفان بالجميل الذي أسدته القبيحة للفتاة القادمة من المجهول، تلمست وجهها ليصبح جميلًا جدًا. تلمست جسدها الذي زادت تعرجاته ليصبح مثيرا، وبجمال ساحر أخّاذ. بدأت السيدة تتحسس وجهها بفرح شديد، تجري نحو المرآة تشاهد نفسها. تقفز من السعادة

ثم ارتدت الفتاة القناع، واختفت تاركة تلك المجزرة.

****

يقولون:

"أنه في بلدة أوروبية من قديم الزمان، كان يحكمها عمدة طيب القلب. ولإثبات مدى طيبة قلبه اختار أقبح النساء بها وتزوجها، والتي بدأت في فقدان الأمل بسبب نظرة سكان البلدة إليها.

لم يكن يعرف أنها سيدة ملعونة، كانت تقضي معظم أوقاتها في ممارسة السحر الأسود بجميع أنواعه.

إلى أن اكتشفت طريقة للتحدث مع شيطانة العواصف والرياح -شيطانة الليل (ليليث)- كانت شيطانة قوية صارمة من سلالة (لوسيفر)، يعتز بها كأحد أفضل أحفاده.

دلتها على الحل في الحصول على الجمال، ولكن للسحر ثمن، وكان ثمنًا غال جدًا؛ اشتمل حياة زوجها، وفقدان وليدها، ولكنها لم تكترث.

كانت الخطة هي اندماج (ليليث) داخلها، أثناء جماعها مع زوجها؛ لتنتج مولودة جديدة أسمتها (ليليانا)، كانت نصف شيطانة ونصف بشر.

بعد الولادة على الفور، أصيب العمدة بمرض تشخيصه غير مفهوم،

واختفت المولودة على الفور. أخذتها (ليليث)!

لم تكتمل الخطة بعد؛ كان لابد أن تصنع قناعًا مسحوراً، يعد كسلاح له القدرة على التلاحم مع البشر ضعاف النفوس، لسهولة التحكم بهم، واختص بمن انعدمت عنه نعمة الجمال.

ابتاعت هذه الساحرة، والتي أصبحت العمدة محل زوجها، هذا القناع، وألقت عليه التعاويذ، ولم يبق غير إزهاق العديد من الأرواح؛ فهي صنعت السلاح ولكن لابد من تذخيره.

لذا دعت أهل البلدة لحفلة تنكرية مهيبة في القصر، وأعدت العدة لحرقهم جميعًا، وعادت (ليليانا) بعد أن اكتمل سلاحها؛ فهي نصف بشر ونصف شيطانة، يبدو عليها القبح بالوراثة، فمجرد أن ارتدت القناع أصبحت فتاة جميلة تحوي شرًا عاتيًا بداخلها.....

أصبحت جاهزة للهجوم والفساد في الأرض، المهمة العظمى لإبليس وأعوانه، وهي نشر الشر والفساد والبغض والكراهية، وقبل كل هذا البعد عن الله.

كانت وجهتها دولة مصر.

***

تركت ليليانا المجزرة متوجهة إلى مصر لنشر الفساد؛ فمصر دولة متدينة قريبة من الله، ذُكر في القرآن الكريم أنها بلد

الأمان؛ فكان لابد من تجهيز العدّة، وتجهيز (ليليانا) بأقوى الأسلحة وأعتاها، لشن هذا الهجوم.

****

لم يدر (علاء) بنفسه إلا وهو في بهو من الطراز المصري، يمتلئ بالبخور متعدد الروائح.

يقبع هناك شيخ وبجانبه ولده الشاب في أمان، وفجأة يطرق الباب بعنف!

ـ "الحقنا يا شيخ (رسلان)"

نظر الشيخ (رسلان) للولد: "استنى هنا يا (رفاعي)"

(رسلان): "مين!؟"

ـ "أمنا الغولة تاني يا شيخنا أخدت عيل من عيالنا"

فتح الرجل الباب، وإذا برجل في مقتبل الثلاثينات، يرتدي جلبابًا ينظر برعب للشيخ (رسلان)"

(رسلان): "إزاي!؟"

الرجِل وهو يلتقط أنفاسه من التوتر: "أم (عطية) كانت بتنيم الواد ابنها، وكان عمّال يتشاقى، فكانت بتهزر وتقوله "انت هتتهد ولا أجيبلك أمنا الغولة؟""

(رسلان): "وده اسمه كلام!؟ إحنا مش حذرنا!؟"

الرجل متجاهلًا رد الشيخ (رسلان) ومكملًا: "صبحوا الصبح لقوا الواد مش موجود. أكيد كلته يا شيخنا"

(رسلان): "وأم (عطية) فين دلوقتي؟؟ وعاملة إيه؟؟"
الرجل: "موسرقة وبيصحوا فيها بيشمموها بصل. كل ما تفوق تنادي على (عطية) وتقول "أنا السبب يابني معلش" وتسورق تاني"
(رسلان): "طب استنى هاجي معاك"
دخل الشيخ (رسلان) تاركًا الرجل بالخارج، فوجد (رفاعي) وقد ارتفع في الهواء، وهو يتلوي في الهواء، فتفهم (رسلان) الوضع قائلًا: "كنت متوقع"
دلف الرجل، تتغير ملامحه لفتاه ترتدي قناعًا رصاصي اللون، وهي تضحك بانتصار.
(رفاعي) يصرخ من الرعب، يحاول أن يطبق كل ما تعلمه من والده الشيخ (رسلان) كبير الشيوخ الروحانيين بالبلدة.
طبق الشيخ (رسلان) شفتيه ببرود تام: "قلتلك كنت متوقع"
(ليليانا /أمنا الغولة): "يعني هتعمل إيه؟"
(رسلان) بثقة: "هعمل كتير!"
(ليليانا) وقد أشارت نحو (رفاعي) ليتلوى في الهواء من الرعب: "فاكر نفسك زي الباقي.."
لم ينبس الرجل ببنت شفة، بل أشار نحو (رفاعي) وقال له: "دلوقتي يا (رفاعي)!"

(رفاعي) رغم تلويه، إلا أنه تمتم بكلمات يبدو أنها أزعجت (ليليانا/أمنا الغولة)، فضعفت قبضتها ليسقط على الأرض، وصرخت كمن لسعتها النار: "لااااااااا!"
لوح (رسلان) بكلتا يديه، مشيراً نحو القناع، وبحركة خاطفة من (رفاعي)، انقض على القناع ليخلعه من وجهها، الذي تحول للشكل القبيح.
وبدأ الشيخ (رسلان) في تلاوة آيات معينة من القرآن الكريم، ليحصن نفسه ويحصن ولده الذي ألقى بالقناع له ليتلقّفه.
صرخت (ليليانا/أمنا الغولة) من فرط الفزع، وصرخت من الألم، وكادت الآيات أن تفتك بها.
إلى أن سقط (رفاعي) على الأرض من الألم، وتأوه، فلفتت السقطة نظر الشيخ (رسلان)، الذي توقف لجزء من الثانية، ولم يلبث أن بدأ في التلاوة مرة أخرى، ملتفتاً نحو عدوته، فلم يجدها! لقد اختفت (ليليانا/أمنا الغولة) من المكان.
نظر الشيخ (رسلان) لولده: "انت كويس يا (رفاعي)؟"
(رفاعي): "الحمد لله.. على الأقل خدنا منها القناع.. مش هتعرف تعمل حاجة كده ولا قدامها عشرين سنة"
(رسلان): "متفرحشي أوي يابني.. كده دي هتسلَّط علينا عشيرتها كلها، وهتبتدي الحرب بينا وبينهم لازم نجهز"

ونظر الشيخ للقناع، وتنهد بارتياح. لقد انتصر في الجولة الأولى!

****

يقولون:
"أن (ليليانا) تخصصت باختطاف الأطفال الصغيرة وحديثة الولادة، عندما يذكر اسمها (أمنا الغولة) في البيت، وكأنه استدعاء لها."
هل عرفتم حقيقة (أمنا الغولة)؟؟
"كما تخصصت باعتبارها نوع من شيطان إبرام الصفقات في البحث عن ضعاف النفوس، وعقد الصفقات معهم، وخصوصا شهوة الجمال؛ تخصصت فيها أكثر، فكم من مرة فازت فتيات بمصر بمسابقة ملكة جمال، ولم تكن البلد تعرف عنهم شيئًا. لقد ظهروا من المجهول بجمالهم الأخَّاذ، مع بعض الابتسامات يسحرون بها اللجان.
(ليليانا) هي السبب.
كم من مطربة أو مطرب ظهروا من المجهول، ليسحروا المستمعين والمشاهدين بجمالهم الفتّان، وصوتهم العذب!
كم من مذيعة أو مذيع! كم من ممثل أو ممثلة!
من القاع مغمورين إلى القمة متصدرين!
وما أدراك بثمن الصفقة!

قد يكون الثمن حياة عزيز عليهم.
مولود - دماء تسكب - وقد تصل لسلب حياة الشخص نفسه، ليتعذب في جهنم.
ولكن..
كانِ ظهور الشيخ (رسلان عبد الظاهر) وولده (رفاعي) سببَا في سلب قوتها السحرية.
لقد سلب منها سلاحها، وحصّنه جيدًا، إلى أن ظهرت عليه أعراض الشيخوخة، وأحس بالخطر على رفاعي، فأمره أن يدفن القناع معه، ويلقي تعويذة ليلتصق بوجهه، والتعويذة تُكتَب على جسد الشيخ (رسلان). على أوصاله حتى لا تستطيع (ليليانا) أن تقترب من جثة الشيخ (رسلان).
كما ألقى (رفاعي) تعويذة على القبر نفسه، حتى لا تخطو خطوة واحدة للداخل، وإلا ستحترق!"

****

أدرك (علاء) أنه انتقل الآن إلى شقة (جمال/توفيق)، من وصفها الدقيق عندما كان يسرد قصته.
رجل وامرأة قبيحا الشكل مع امرأة تمارس طقوس سحرية، وتستدعي كائنة قبيحة الشكل.
تخاطبها وتطلب منها منحة الجمال.

وترد الكائنة: "لكل شيء ثمن!"
والدة (جمال): "اللي تطلبيه!"
(ليليانا): "حياتكم بعد ما مولودكم يكبر!؟"
نظر الرجل والمرأة في تعجب، وإلي (جمال) وهو صغير، يشجعان بعضهما البعض بالموافقة؛ فحياتهم لا تُحتمل بهذا القبح. لقد أسماهم الناس بعائلة المسوخ.
وفي صوت واحد: "موافقين"
ليليانا: "(جمال) هيشيل قبحكم ده"
وفي أنانية متوافقة: "موافقين"
ظنًّا منهم أنهم سيعاودون استدعائها مرة أخرى لمنحة الجمال لابنهم (جمال).
وبالفعل تمت الصفقة!
وكان مصير الأب حادثة مروعة بالدراجة البخارية.. الموت!
ومصير الأم مرض الشيخوخة، والذي سلب حياتها في وقت سريع. (المرض)
لعنتان تخصصت بهما والدة ليليانا (ليليث).

***

المقابر...
وقف (علاء) يشاهد الهيستيريا التي أصابت (جمال) في فصل أوصال جثة الشيخ (رسلان)، ويحرقها.

وكلما أرادت (ليليانا) دخول المقبرة تحترق، وتتألم فتبتعد، إلى أن أضاءت المكان كله.
حتى استطاعت الدخول، وانتقمت من جثته.
كانت تريد مساعدًا لها لإحضار القناع سلاحها. فهل من مذخّر!؟

*****

عاش (علاء) كل حدث في القصة في وقت قليل.
وسرعان ما خرج من بوتقة الجحيم، وخلع القناع الذي أثار شهوة القتل لديه، ولكن قتل من يستحق القتل. (جمال).. صديقه (توفيق) الكاذب.
لم ينجح القناع مع (علاء)، بل أراه الحقيقة بغرض إثارته ليطلب منحة الجمال.
ولكن (علاء) شاب قنوع يحمد الله على كل شيء.
لم يستبِح الدم للحصول على شهوة أو رغبة إنسانية زائلة بعد أجل قريب، وبفوزه يالجنة فالله سيحقق له ما يريد.
اختار (علاء) الطريق الصحيح...
نظرِ (علاء) إلى (جمال) على الأرض، وإلى الشيخ رفاعي، فحيّا الشيخ رفاعي.
وتذكر (هناء) و(دعاء)..
علاء: "هجيب البنات"

أومأ له الشيخ (رفاعي) برأسه موافقة، وقد أحس بخطر ما. فقال له: "هي هنا.. (ليليانا هنا). إذا تعرضت لك متترددتشي في تهديدها بالقناع. لو أخدته منك هتكون نهايتنا. هتخلي (توفيق) يكمل اللي بدأه.. هيفتك بينا"
نظر له (علاء) متفهماً، وارتدى القناع مرة أخري.

***

بدأت (هناء) و(دعاء) في الإفاقة، تئنان من سقطة السيارة.
(هناء): "هو إيه اللي حصل يا (دعاء)!؟؟"
(دعاء) وهي تمسح دموعها المختلطة بالماكياج: "مش عارفة.. حاسة إننا وقعنا بالعربية"
(هناء): "العربية دارت، وعملنا حادثة"
(دعاء) وقد تذكرت، وبدأت موجة الرعب تسري في حديثها: "لأ الست اللي ظهرت قدامنا رفعت العربية وسابتها تقع بينا"
وتلفتت تبحث عنها حول السيارة، عندما اصطدم بالزجاج شخص ما. انطلقت صرختي رعب من (دعاء) و(هناء).. صرختي رعب بحق.
وعندما تبينتا ملامح الشخص، اتضح أنه (علاء)، ولكنه يرتدي القناع خشية من (ليليانا) وبطشها.
(علاء): "أنا (علاء)"

(دعاء): "إيه اللي انت لابسه ده!؟"
(علاء): "مفيش وقت.. هشرحلكم بعدين"
(هناء) وقد سرى بداخلها الشك: "(علاء).. انت لابس قناع شبه القناع بتاع (جمال). وديت فين (توفيق)!؟؟"
(علاء): "(توفيق) هو (جمال) وكان عاوز يقتلنا. ابعدي شوية هكسّر بقية الإزاز"
خلع (علاء) الچاكيت، ولفه حول يده، وبدأ في تكسير بقايا الزجاج بالسيارة، وأزالها ليصبح شباك السيارة مخرجا للفتاتين.
مد يده لـ(دعاء): "تعالي يلا"
لم يكمل عبارته، وإذا بشيء ما جذبه بقوة ليطير في الهواء.
صرخت (دعاء) و(هناء) بدورها: "(علااااء)"
قام (علاء) متلفتًا حوله، وأخذ يصيح بعصبية شديدة: "إنتي فاكراني (جمال)!؟ مش هنولّك اللي إنتي عاوزاه"
ارتفعت السيارة في الهواء مرة أخرى. الفتاتان تصرخاااان.
وأتاه صوت من الخلف يصم الآذان: القناع ترجعه لـ(جمال) وإلا هسيب العربية تنزل بيهم"

***

نظر (توفيق) ناحية مصدر الصراخ وهو يضحك بهيستيريا مريبة قائلًا: "شكلها هتظبتهم"

(رفاعي): " اخرس يا أوسخ طبقات البشر أحسن أخلَّص عليك حالًا! انت نسيت نفسك!؟ نسيت أمك علمتك إيه!؟ بعد ما ندمت على غلطتها.

ابتسم (توفيق) بلامبالاة: "لو كنت عاوز تقتلني كنت قتلتني"

(رفاعي): "بإذن الله بعد ما حضَّرت العفريت هتصرفه"

(توفيق) باستهزاء: "مستحيل أعمل كده! بعد ما بنيت كل ده في سنين عاوزني أضيعه!!؟"

(رفاعي): "هتصرفه"

(توفيق): "طب بص وراك!"

التفت الشيخ (رفاعي) وراءه، ليرى سيارة معلقة في الهواء، و(علاء) منكس الرأس، القناع في يده.

(هناء) تنظر برعب إلى (توفيق) الذي يضحك على الأرض: "(توفيق) الحقني!"

(توفيق) يبتسم لها من أسفل: "الحقي نفسك". ووقف على الأرض، ينفض ملابسه من الغبار.

تعجبت (هناء) من رد فعل (توفيق)، الذي يضحك ويرد بلامبالاة.

(دعاء) حسمت الأمر: "(هناء) بصيلي. (توفيق) مش طبيعي. (علاء) عنده حق. لازم تصدقي (علاء)"

(هناء) مصدومة غير مقتنعة: "(علاء) كان لابس القناع"

(دعاء): " بس اللي بتهدد (علاء) بينا لو كان مصلحته يموّتنا مكانشي اتردد، وبعدين طَلَبت مِنّه إنه يرجّع القناع لـ(جمال)"

(هناء) تصرخ: "وهو فين (جمال) ده!!؟"

وجاء الرد أسرع مما تخيلَت، عندما انقض (توفيق) على (علاء)، وارتدى القناع.

التفت الشيخ (رفاعي) نحو (توفيق)، الذي ازداد قوة، وبدأ الشيخ في التمتمة بصوت واضح، فبدأت السيارة في الهبوط، لكن في نصف الطريق للأسفل انقض (توفيق) على الشيخ (رفاعي)، فتفاداه الشيخ (رفاعي)، ولكن ترك السيارة لتسقط رغمًا عنه.

أسرع (علاء) نحو السيارة: "(دعاااء)! (هناااء)!"

(هناء) تبكي من المفاجأة مقتنعة: "إحنا كويسين. خلصوا على (توفيق)"

(دعاء) نظرت لـ(علاء)، وظهرت بعد انقشاع الغبار بإيماءة قائلة: "ربنا يحميك"

تركهما لينفذا خارج السيارة ويتخذا ساتراً.

تشاهدان حمو المعركة الدائرة أمامهما.

***

انقض (علاء) على (توفيق/جمال)، الذي تشابك مع الشيخ (رفاعي).

قبل أن يصل إليهم، ظهرت (ليليانا)، وهي في أشد حالات الغضب العارم.

بدأت في تحويل المكان إلى قطعة من الجحيم، بل قامت باستدعاء كائنات العوالم الأخرى التي تساعدها.

(توفيق/جمال) ينظر ويضحك ضحكة انتصار إلى ما يحدث حوله.

أسرع الشيخ (رفاعي) بإخراج عصا مألوفة، ألقاها لـ(علاء).

رآها قبل ذلك.

إنها عصا الشيخ (رسلان) رحمه الله.

ثم قام الشيخ (رفاعي) بانتزاع القناع، وألقاه لـ(علاء) هو الآخر.

(توفيق/(جمال): "لاااااااا! هات القناع!"

تلقفه (علاء) وارتدى القناع.. يعلم ما سيفعله.

وقف محله ثابتًا.

ليليانا تستدعي أعتى كائنات العوالم المظلمة.

انتزع (توفيق/جمال) القناع مرة أخرى في منتهى السهولة.

وارتدى القناع. توهجت الخيوط الذهبية!

وتوهجت الدماء من داخل قلبه.

دس (علاء) العصا في قلبه بقوة!

ليتسمر (توفيق/جمال) مكانه من هول الصدمة.
صرخت (ليليانا).. كائنة غبية، لم تعلم أن الشيخ رسلان أعد سلاحًا ضد البشر أيضًا؛ عصا ملقى عليها ذات التعويذة التي ألقاها مكتوبة على أوصاله.
التصق القناع بوجه (توفيق/جمال)، وسقط على الأرض قائلًا: "الحقيني!"
استمرت (ليليانا) في الصراخ. لا تدري ماذا تفعل. أدركت أن سلاحها استحال كما كان؛ فرغت ذخيرته مرة أخرى، في انتظار شخص جديد ليبدأ ما بدأه (جمال)"
فاختفت: "هرجع يا بني الإنس.. هرجع ومش هسيبكم. وضعاف النفوس كتير"
هذه المرة سيتخذ الشيخ (رفاعي) احتياطاته بقوة وبحذر.
أسرعت (دعاء) نحو (علاء) لاحتضانه، الذي تسارعت أنفاسه بالانتصار، قائلًا: "كلب ابن ستين كلب!"
تبسم الشيخ (رفاعي) بعد قول (ليليانا) قائلًا: طوأنا مش هسيبك عشان خاطر والدي وصاني عليكي"
صافح الشيخ (رفاعي) (علاء) قائلًا: "كنت عارف إنك فهمت كل حاجة لما لبست القناع"
تعجب (علاء): "عرفت أزاي!!؟"
(رفاعي): "عشان أنا لبسته زيك وعرفت قصته"
(دعاء) و(هناء) ينظران باستغراب لتلك المحادثة.

(علاء): "اعذرني أنا كنت هاضعف لما هددت بقتل (دعاء) و(هناء)"
(رفاعي): "كان لازم أعرّفك إنها متعرفشي تأذي نملة دلوقتي. دي مش أول مرة أقابلها. أخر مرة شلت قدرتها على القتل عن طريق تعويذة. كانت هتطلب مساعدة كل كائن من دمها.
أومأ (علاء) بتنهيدة، غير مصدق ما عاشه: "ربنا يخليك يا شيخ (رفاعي). ربنا بعتك لينا. مش عارفين من غيرك كنا هنعمل إيه!؟
الشيخ (رفاعي) مبتسمًا: "ربنا خلقنا لحماية الناس من شر الشيطان الرجيم وأعوانه ونسله. دي رسالتنا في الحياة"
وبدون مقدمات، قال (علاء): "وبعد اللي شفته حاسس إني مسئول، ولازم أكمل رسالتك للآخر"
تبسم الشيخ (رفاعي) قائلًا: "يسعدني يابني"
(دعاء) و(هناء) مازالتا تنظران بتعجب.
إنهما في حالة صدمة.

(5)
.. خارج بوتقة الجحيم ..

قال الشيخ رفاعي لـ(علاء) أن هناك برزخًا في كل بلدة وفي كل قرية. هذا البرزخ يمر من خلاله بعض المخلوقات. قد يستغله البعض في الصالح، والبعض في الطالح.
علمه كيفية إيجاده وإظهاره. علمه كيف ينتقل من بلد لآخر في لمح البصر.
دخلا معا للبرزخ، يبحثان عن (ليليث) ومساعدتها القبيحة في جميع أنحاء الكوكب، ينويان قتلهما والقضاء على النسل من أعلاه لأسفله، متوعدًا بأن يصل إلى (ليليانا) الحقيرة، والتي اختبأت منهما.
لا تدري أن مصيرها محتوم، وأن كل من يساعدها سيبتعد عنها بمجرد اقتراب (علاء) والشيخ (رفاعي) منها، خائفين من بطشهم.
(هناء) و(دعاء) أقرتا بعدم ذكر ما حدث لأحد أيا كان. ادّعتا أنّ (توفيق) قد هاجر لدولة أوروبية ولن يعود. انفصل عن (هناء).
تـ حمدان الله على فرصة ثانية مُنحت لهما في الحياة.
أما (توفيق) أو (جمال)، وُضع في قبر مغلق بجميع الأقفال التي تتخيلوها في حياتكم. القناع ملتصق بوجهه. تنغرز في قلبه العصا.

وقد ألقيت في كل شبر بجثته جميع التعاويذ بأنواعها؛ تعاويذ حماية؛ ليستحيل الحصول على هذا القناع مرة أخرى.

لو تم تدمير القناع لكان من السهل صناعة آخر؛ كان لابد من الاحتفاظ به. أسلحة الشياطين فريدة من نوعها، لا تتكرر صناعتها إلا بعد تدمير الأصل.

كان الشيخ (رفاعي) مستعدا لكل شيء.

أصبح (جمال) مدفونًا، وبحوزته الجمال المدفون.

تمت بحمد الله